الآفاق

مجلة أسبوعية تهتم بشئون الحوزات العلمية

- السنة الثانية
- ال ٣٩
- الإثنين
- ٢٣ ربيع‌الأول ١٤٤٥ هـ.ق
- ٩ اكتوبر ٢٠٢٣ م
- ٨ صفحات
- ٢٠٠٠ ريال

ملامح من حياة
فاطمة المعصومة عليها السلام
في ذكرى وصولها إلى مدينة قم
صفحة ٢

مع إقتراب مئوية حوزة قم المقدسة العلمية
حول مؤسّس الحوزة العلمية في قم المقدّسة
الفقيه الشيخ عبدالكريم اليزدي الحائري قدس سره
صفحة ٦

الخارجية الايرانية:

طوفان الأقصى رد فعل طبيعي للمقاومة والشعب الفلسطيني دفاعاً عن الحقوق المشروعة

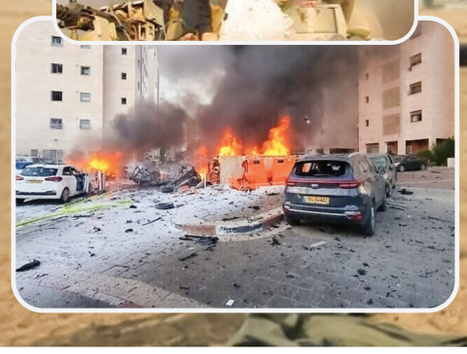

وصف المتحدث باسم وزارة الخارجية الايرانية ناصر كنعاني، عملية "طوفان الأقصى" بأنها حراك عفوي لفصائل المقاومة والشعب الفلسطيني المظلوم دفاعا عن حقوقه المشروعة وغير القابلة للإنكار ورد فعل طبيعي على السياسات المثيرة للحرب والاستفزازية والعنجهية للصهاينة خاصة رئيس الوزراء المتطرف والمغامر للكيان الصهيوني الغاصب.

تسنيم

ملاحظة

سر من أسرار السيدة المعصومة عليها السلام

عن الإمام الرضا عليه السلام: من زارها عارفاً بحقّها فله الجنّة. ثم قوله عليه السلام: «عارفا بحقّها»، الحقّ بمعنى الشيء الثابت، فحقّها أي ما ثبت لها من الله سبحانه ومن رسوله وعترته الطاهرين. وفي روايات زيارة الأئمة الأطهار عليهم السلام ورد أ نّه من يزور الإمام عليه السلام عارفا بحقّه، ومن أعظم حقوقه أ نّه إمام مفترض الطاعة، وأمّا حقّ السيّدة المعصومة فكثير، وإليك غيض من فيض:

١. إنّما بلغت هذا المقام الشامخ والمنزلة الرفيعة . في بيوت أذن الله أن ترفع . عند الله وعند رسوله والعترة الهادية، لعرفانها وعلمها، ودفاعها المقدّس عن حريم الولاية، والفناء في الله وفي مقام الإمامة والخلافة العظمى المتمثّلة في عصرها بإمام زمانها أخيها الرضا عليه السلام، وأ نّها تشبه عمّتها زينب الكبرى عليها السلام في دفاعها عن نهضة أخيها سيّد الشهداء الحسين بن عليّ عليهما السلام، كما أ نّها تشبه أُمّها فاطمة الزهراء عليها السلام في جلالتها وقداستها وجمالها وكمالها. وما أروع ما يقوله الإمام الخميني رحمه الله في أشعاره . باللغة الفارسيّة . في مناقبها وفضائلها ومقامها العظيم أذكر لك ترجمة بعض الأبيات، يقول: تجلّى النور الإلهي . الله نور السماوات والأرض . في الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ تجلّى منه في أمير المؤمنين حيدر الكرّار عليه السلام، ثمّ ظهر في فاطمة الزهراء عليها السلام، وتجلّى الآن في بنت موسى بن جعفر عليهما السلام، وإنّما صار عالم الممكنات بهذا النور حقّاً، ولولاه لكان كلّه باطلاً، ولم يأت الدهر بمثل هاتين البنتين . فاطمة الزهراء عليها السلام وفاطمة المعصومة عليها السلام . اللتين خرجتا من بين مشيمة القدرة الإلهيّة، فكانت الزهراء عليها السلام مبدأ أمواج العلم، وكانت بنت موسى عليه السلام مصدر أمواج الحلم، تلك كانت تاجاً على رؤوس الأنبياء، وهذه مغفراً على هامات الأولياء، تلك كعبة عالم الجلالة، وهذه مشعر ملك الكبرياء، ولو لم يغلق فمي قوله تعالى: «لَمْ يَلِدْ» لقلت هما بنتا الله، فتلك الزهراء عليها السلام أميرةً على الملك اللاّيزالي، وهذه أميرةً على العرش الكبريائي، تلك زيّنت أرض المدينة المنوّرة، وهذه نوّرت أرض قم المقدّسة، فهذه جعلت من تراب قم في الشرف جنّةً، وتلك جعلت ماء المدينة كوثرا، فغبطت الجنان أرض قم، ومنها كانت باب الجنّة.

٢. إنّما يُعرف جلالة السيّدة وعظمتها عليها السلام من خلال النصوص الواردة في حقّها عليها السلام من الأئمة المعصومين عليهم السلام، كقول جدّها الصادق عليه السلام: «بضعة منّي من زارها وجبت له الجنّة»، وكقول أبيها الكاظم عليه السلام: «فداها أبوها»، وكقول أخيها الرضا عليه السلام: «من زارها كمن زارني»، وقول ابن أخيها الجواد عليه السلام: «من زار عمّتي وجبت له الجنّة». كلّ هذه التعبيرات مثلها وردت في سيّدة نساء الأوّلين والآخرين فاطمة الزهراء عليها السلام ايضاً، فهي بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفداها أبوها ومن زارها وجبت له الجنّة.

المصدر: الولاية

مقالة

تاريخ الحوزة العلمية في أهواز

اصغر غيبي

كانت أهواز مدينة شيعية منذ القرون الأولى للإسلام، ومثل مدينتي قم وري، كانت واحدة من المراكز الشيعية القليلة في إيران. ويعود تأريخ الحوزة العلمية في أهواز إلى القرنين الثاني والخامس الهجريين، عندما عاشت شخصيات عظيمة مثل حسن بن سعيد ، حسين بن سعيد ، علي بن مهزيار ، محمد بن مهزيار، إبراهيم بن مهزيار الأهوازي، عائلة نوبختي وغيرهم في هذه المنطقة وحاولوا تعزيز العلوم الدينية والترويج لها، مثلما كان الأشعريون في مدينة قم وشيوخ في مدينة ري، وكانوا من قادة الشيعة وزعمائها.

كانت أهواز المركز العلمي والاقتصادي للمنطقة في تلك القرون، ولكن منذ القرن الخامس، تراجع إزدهارها بسبب الكوارث الطبيعية التي حلت بها مثل الفيضانات والزلازل والأوبئة. وفي القرن الرابع عشر، بقيت قرية واحدة فقط اسمها "ناصري"، من مجد المنطقة وعظمتها، ولكن مع تنقل السفن في نهر كارون وإنشاء شركة في هذه المدينة، نمت المدينة وازدهرت من جديد.

في أهواز الجديدة في فترتي القاجار والسلالة البهلوية، سيطرت وهيمنت الثقافة الماسونية والغربية عليها، ولم يكن هناك دور وأهمية للحوزة العلمية، على الرغم من وجود شخصيات علمية ومذهبية في المدينة، مثل السيد عيسى كمال الدين الذي شارك في الحرب الجهادية ضد الاستعمار البريطاني، وبيت الراحل "صاحب الجواهر" والشيخ نصر الله الهويزي الكرمي، والد الشيخ طه الهويزي وآخرين في "دشت آزادگان" والمناطق المحيطة بها.

الحوزة العلمية في أهواز تزدهر من جديد

في عام ١٩٧١، قبل حوالي ثمانين عاماً، تم إنشاء مدرسة الراحل آية الله ميرزا جعفر الأنصاري، الذي هاجرت عائلته والسادة المرعشيين والجزائريين إلى أهواز، وازدهرت الحوزات العلمية. وأنشأت مدارس أخرى مثل مدرسة آل طيب و مدرسة "مرعشي (بروجردي)" عام ١٩٥٩ و دار العلم للبهبهاني عام ١٩٦٦، ومدرسة آية الله الكرمي عام ١٩٦٦.

ونظراً للأجواء التي كانت سائدة قبل الثورة وتأثير الثقافة الغربية، لم يكن أهالي أهواز مهتمين بالالتحاق بالحوزة العلمية، وتم استقطاب طلاب هذه المدارس من مدن غير أهواز مثل إيذج وباغملك و رامز ودشت آزادگان من المحافظة الأخرى. في الواقع، رجال الدين في أهواز كانوا من المهاجرين، ومن بين ١٢٠ طالباً، كان من بينهم ٢٠ طالباً من أهواز.

شهدت الحوزة العلمية في أهواز تغييراً كبيراً بعد الثورة، ولعب آية الله الموسوي الجزائري دوراً محورياً في هذا التطور. وكان آية الله الموسوي الجزائري ممثلاً للإمام الخميني قدس سره في خوزستان منذ عام ١٩٥٣.وكان منزله مكاناً لتجمع شباب الثورة. وبعد انتصار الثورة الإسلامية المجيدة، تم تعيينه من قبل الإمام الخميني قدس سره إمام جمعة لمدينة أهواز عام ١٩٨٠، والتي تزامنت مع بدء الحرب المفروضة، وإغلاق المدارس العلمية في هذه المدينة، لهذا السبب هاجر بعض معلمي وطلاب المدارس الدينية من أهواز، وأرسل بعضهم إلى جبهات القتال، وذهب بعضهم إلى قراهم.

في تلك الفترة وبمبادرة من آية الله الموسوي الجزائري، والشيخ الراحل أحمد الصياحي والشيخ الراحل حسين فردوسي والسيد خضر، تم جمع الطلبة في العباسية، و كان ذلك في الوقت الذي تقدمت فيه القوات البعثية إلى مسافة عشرة كيلومترات من أهواز وكانت تقصف المدينة بقذائف الهاون.وفي تلك الآونة بدأ الدرس والنقاش، ومع حضور الطلاب وحماسهم الكبير، تم نقل ميدان الحرب هذا من العباسية إلى مدرسة مرعشي الصغيرة، لتصبح مكانة الحوزويين أكثر وضوحاً. بعد شهرين أو ثلاثة، ذهب الطلاب إلى دار العلم مع آية الله الموسوي الجزائري.

كانت دار العلم مدرسة كبيرة، فُتحت للطلاب الشباب بعد ست سنوات من الإغلاق، بتنسيق من السيد عبد الله ، نجل الراحل آية الله بهبهاني. وكان لدار العلم مكانة جيدة تتماشى مع الثورة، و كانت واحدة من مراكز بداية الحركات الثورية، ومن هناك انطلقت مظاهرات أهواز الكبرى. الحوزة في فترة الحرب، كانت مكاناً لدعم جبهات القتال، وكان الناس يرسلون مساعداتهم إلى الجبهات من هناك وأصبحت دار العلم الآن مؤسسة قوية ومركزاً علمياص أيضاً.

إنشاء أكبر مدرسة علمية في خوزستان

كانت الخطوة التالية هي إنشاء مدرسة الإمام الخميني قدس سره من قبل آية الله الموسوي الجزائري. في عام ١٩٧٩ ، أسست هذه المدرسة العلمية باختيار قوات التعبئة من بين العائلات المتدينة، وقام بنفسه بتدريس "جامع المقدمات"، الذي يعتبر أول كتاب للحوزات العلمية. لكن مع بداية العمليات العسكرية، لم يتمكن الطلاب من البقاء في المدرسة التي أغلقت في بعض الأوقات من قبل الطلاب والأستاذة، وتشكلت حلقات دراسية في المنطقة الحربية، وبهذه الطريقة انخرطوا في عمليات ثقافية قتالية.

إستشهد وجرح وأسر العشرات من هؤلاء الطلاب. طلاب هذه المدرسة العظيمة اليوم هم ورثة هؤلاء الجنود الذين بادلوا الجسد والروح مع الله في الجهاد الأصغر والأكبر.

إنّ مدرسة الإمام الخميني قدس سره العلمية في أهواز، هي أكبر مدرسة دينية في المحافظة اليوم. لديها أكثر من ٦٠٠ طالب شاب وناشط ، وما يقرب من ٢٠٠ شخص يشاركون في دروس خارج الفقه. كما تضم هذه المدرسة العلمية أقساماً متخصصة ومكتبة ومركزاً للأبحاث، وفي وقت الظهيرة، يذهب العشرات من طلاب هذه المدرسة إلى المساجد والدوائر ومدارس دائرة التعليم والتربية لأداء صلاة الجماعة.

يتولى إدارة مساجد مدينة أهواز طلاب شباب وذوي عزيمة، وفي بعض المساجد، يحضر مئات الشباب للمشاركة في صلاة الجماعة والأنشطة الثقافية التي تستمر حتى وقت متأخر من الليل، مما يعطي تأثيراً خاصاً وواعداً للأجواء الدينية والثقافية للمدينة. النقطة المثيرة هنا أن الحوزة العلمية في أهواز قد اختارت طريقة منهجية لاختيار الطلاب، إذ يتم استقطاب الطلاب من خلال المساجد والشباب الذين نشطوا فيها لعدة سنوات وشاركوا في فصول مختلفة، شريطة تملكهم موهبة عالية، ليتم استقطابهم للدراسة في هذا المجال.

كانت الخطوة التالية المتماشية مع برامج البنية التحتية العلمية في هذه المدينة، هي إنشاء حوزة "مكتب الزهراء" (عليها السلام) العلمية فرع الأخوات، من قبل آية الله الموسوي الجزائري. وكان لهذا المركز العلمي أكثر من أربعمائة خريج حتى الآن. ويشارك الآن ما يقارب من ٥٠٠٠ من الطالبات في المستويات الثانية والثالثة والرابعة في خوزستان بالأنشطة العلمية للمركز. في المناطق المحرومة والنائية للمدينة ، تم إنشاء مدرستين للأخوة، وكذلك مثلهما للأخوات. كذلك ترتبط المدارس العلمية في أهواز ارتباطاً وثيقًا بالمساجد ، ويبلغ العدد الإجمالي للطلاب في هذه المدينة أكثر من ألفي طالب، أي عشرين ضعفاً أكثر مقارنة مع ما قبل الثورة، وعدد طلاب المحافظات أكبر بكثير من هذا العدد.

تأسيس مدارس "سفراء الهداية"، ودورة الماجستير في التبليغ، وإنشاء مؤسسة أمير المؤمنين عليه السلام للتعليم العالي. وتأسيس مؤسسة أمير المؤمنين عليه السلام التخصصية التي تُعد إحدى الأنشطة الأخرى للحوزة العلمية في أهواز. لقد كان أهالي أهواز وخوزستان من الشيعة منذ زمن بعيد، ومنذ بداية الإسلام لم تشهد هذه المنطقة الشيعية أي انحرافات دينية، على عكس الدعاية المزيفة للأعداء. فلقد رأى أهالي هذه المنطقة من إيران الإسلامية الكبرى وجهاً للتشيع منذ البداية وعرفوه باسم أمير المؤمنين علي عليه السلام. إنّ اهتمام الشيعة الأهوازيين بدينهم ومذهبهم اهتماماً كبيراً، لدرجة يمكن القول بأنّ حضورهم الحاشد في المساجد وإقامة المناسبات الدينية في الحسينيات، يعتبر وسام فخر و عز لهم. وبالطبع أن كل هذا يرجع إلى العمل الدؤوب الذي قام به العلماء الأتقياء سابقاً، وحضور علماء الحوزة في الوقت الحالي.

المصدر: الوفاق

الأخبار الدولية

التطبيع مقامرة خاسرة

اكد قائد الثورة الاسلامية السيد علي الخامنئي في لقائه مع كبار المسؤولين وسفراء الدول الاسلامية وضيوف مؤتمر الوحدة الاسلامية ان التطبيع مقامرة خاسرة.

قائد الثورة الاسلامية وضع النقاط فوق الحروف بهذا اللقاء بمناسبة المولد النبوي الشريف لواقع خطأ التطبيع مع كيان الاحتلال الاسرائيلي.

وشدد قائد الثورة في كلمته على ان الاحتلال الاسرائيلي الغاصب آيل للزوال. وقال أيضاً: ان الحكومات التي اتخذت مقامرة التطبيع مع الكيان الاسرائيلي نهجاً لها، ستخسر بالتأكيد، وهي مخطئة تماماً في رهانها على حصان خاسر.

العالم

طوفان الأقصى: أكثر من ٣٠٠ قتيل إسرائيلي.. وأبو عبيدة يؤكد أنّ أعداد الأسرى تفوق توقعات العدو

كتائب القسام تعلن أنّ الاشتباكات بين المقاومة وقوات الاحتلال الإسرائيلي متواصلة، في عدة محاور، والناطق باسمها يؤكد أنّ أعداد الأسرى الإسرائيليين أكبر مما يعتقد كيان الاحتلال بأضعاف.

وأفادت بأنّ عدد القتلى الإسرائيليين "ارتفع إلى ٣٠٠ على أقل تقدير، وهناك أكثر من ١٥٩٠ جريحاً".

كما اعترف الإعلام الإسرائيلي بمقتل قائد لواء "ناحال" (أحد ألوية النخبة الإسرائيلية)، يهونتان شتاينبرغ، خلال اشتباك مع أحد المقاومين الفلسطينيين، قرب كرم أبو سالم.

الميادين

الشيخ يزبك: طوفان الأقصى عمل جبار يؤكد أنّ هذه الأمّة حيّة والفتح آت

اعتبر رئيس الهيئة الشرعية في حزب الله الشيخ محمد يزبك أن عملية طوفان الاقصى ادخلت الفرحة والبهجة والسرور الى بيوت وقلوب الامة.

وأكد الشيخ يزبك أنّ هذه العملية التي تهدف فيما تهدف الى تحرير الاسرى تؤكد انّ هذه الامة هي امة مرحومة وان الخير باق فيها وانها قد تسقط احيانا لكنها لا تستسلم.

وأضاف: "ها هي فلسطين التي تآمر عليها الجميع ليقتطعوها من قلب الامة العربية والاسلامية وارادوا لها ان تستسلم بعد سقوطها وحاولوا ذلك عبر هذا الزمن الطريل ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى ووعي الشعب الفلسطيني وصبره وصموده اننا نرى اليوم ان الفتح آت لا محالة باذن الله تعالى".

العهد

العراق يؤكد موقفه الثابت، شعباً وحكومة، تجاه القضية الفلسطينية، ووقوفه إلى جانب الشعب الفلسطيني

اكد المتحدث باسم الحكومة العراقية باسم العوادي موقف العراق الثابت، شعباً وحكومة، تجاه القضية الفلسطينية، ووقوفه إلى جانب الشعب الفلسطيني في تحقيق تطلّعاته ونيل كامل حقوقه المشروعة، مبينا أنّ الظلم واغتصاب هذه الحقوق لا يمكن أن يُنتج سلاماً مستداماً.

وقال العوادي في بيان " إنَّ العمليات التي يقوم بها الشعب الفلسطيني اليوم، هي نتيجة طبيعية للقمع الممنهج الذي يتعرض له منذ عهود مضت على يد سلطة الاحتلال الصهيوني، التي لم تلتزم يوماً بالقرارات الدولية والأممية".

مستشار المرشد الأعلى الإيراني يعلن دعم إيران لعملية حماس ضد إسرائيل

قال مستشار المرشد الإيراني الأعلى، رحيم صفوي، إن إيران تدعم العملية التي شنتها «حماس» على إسرائيل. ونقلت وكالة أنباء الطلبة الإيرانية عن صفوي قوله: «نهنئ المجاهدين الفلسطينيين وسنقف إلى جانبهم حتى تحرير فلسطين والقدس الشريف». وأضاف «نشهد القتل المنظم للأطفال الفلسطينيين على أيدي الصهاينة، ويتم ذلك في ظل صمت المنظمات الدولية وعدم الرد... على هذه الممارسات».

ميدل ايست/ نينا نيوز

وزير الداخلية الايراني يشيد باستضافة العراق السخية لزوار الاربعين

أعرب وزير الداخلية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية أحمد وحيدي، السبت، خلال لقاء مع نظيره العراقي عبدالأمير الشمري، عن تقديره لكرم ضيافة الشعب والحكومة العراقية خلال مراسم اربعينية الامام الحسين عليه السلام هذا العام.

وتبادل وزيرا الداخلية الايراني والعراقي خلال هذا الاجتماع وجهات النظر حول القضايا الثنائية بالإضافة إلى التطورات الإقليمية والدولية الهامة.

وفي هذا اللقاء أعرب وحيدي عن تقديره وشكره لمجموعة الإجراءات والجهود التي قامت بها الحكومة العراقية وكرم ضيافة الشعب العراقي لزوار أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

من جانبه قال وزير الداخلية العراقي في المقابل: قمنا بواجبنا في تقديم الخدمات لزوار الأربعين ونحن سعداء بأننا قدمنا الخدمات للزوار.

العالم

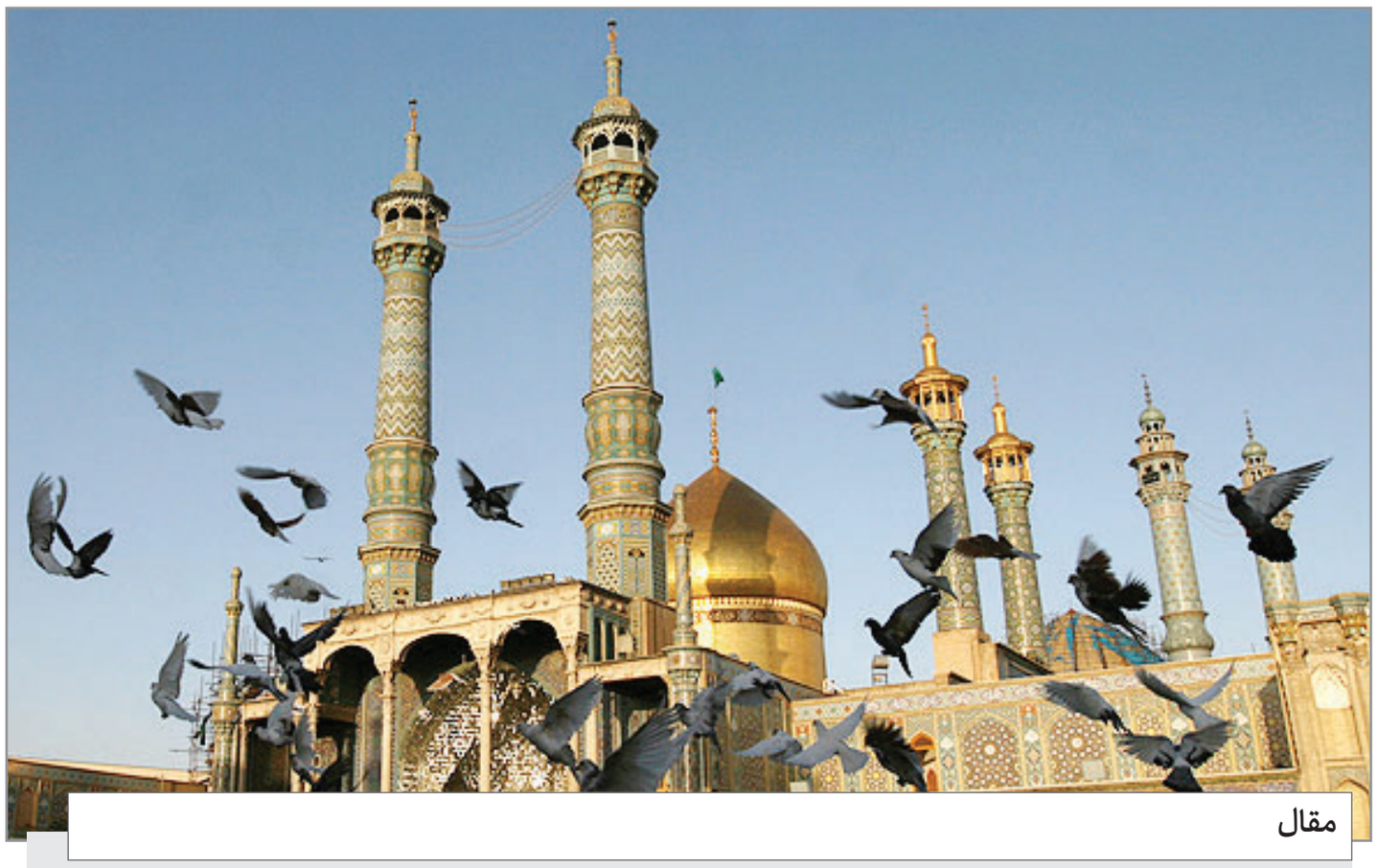

مقال

ملامح من حياة فاطمة المعصومة عليها السلام

في ذكرى وصولها إلى مدينة قم

لما علم أهل قم بخبر وصول السيدة المعصومة بنت موسى الكاظم عليه السلام إلى المدينة، استقبلها أشرافها، وتقدمهم موسى بن خزرج، فلما وصل إليها أخذ بزمام ناقتها وقادها إلى منزله، وكانت في داره حتى تُوفيت.

وكالة أنباء الحوزة ـ السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام، سليلة الدوحة النبوية المطهرة، و غصن يافع من أغصان الشجرة العلوية المباركة، و حفيدة الصديقة الزهراء عليها السلام المحدّثة، العالمة، العابدة. اختصتها يد العناية الإلهية فمنت عليها بأن جعلتها من ذرية أهل البيت المطهرين عليهم السلام. وقد ورد في بعض التواريخ أن الإمام الرضا عليه السلام لقبها بالمعصومة.

ولادتها ونشأتها

وُلدت السيدة المعصومة عليها السلام في المدينة المنورة في الأول من شهر ذي القعدة ١٧٣ هـ على أصح التواريخ.

و ترعرت في بيت الإمام الكاظم عليه السلام، فورثت عنه من نور أهل البيت عليهم السلام و هديهم و علومهم في العقيدة و العبادة و العفة و العلم، و عُرِفت على ألسنة الخواص بأنها : كريمة أهل البيت عليهم السلام . نشأت السيدة فاطمة عليها السلام تحت رعاية أخيها الإمام الرضا عليه السلام، لأن الرشيد العباسي أمر أباها عام ولادتها، فأودعه سجونه الرهيبة الواحد تلو الآخر، إلى أن اغتاله بالسم عام (١٨٣هـ). فعاشت السيدة المعصومة مع إخوتها وأخواتها في كنف الإمام الرضا عليه السلام. وقد أجمع أصحاب السير والتراجم على أن أولاد الإمام الكاظم عليه السلام كانوا أعلاماً لائحة في العبادة والتقوى والنُسك.

ظروفها الاجتماعية و السياسية

ولدت السيدة المعصومة في عهد الرشيد العباسي، ففتحت عينيها منذ صغرها على وضع سلطوي إرهابي، فلقد قامت أركان الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية، و تستر العباسيون وراء شعار رفعوه في بداية أمرهم هو : (الرضا من آل محمد)، ليوهموا طائفة من المسلمين الموالين لأهل البيت عليهم السلام .

لكنهم ما إن تسنموا سدة الحكم و استتبت لهم الأمور حتى انقلبوا على أهل البيت عليهم السلام و امتدّت أيديهم بالقتل والبطش والقمع لكل من يمت لهذه الدوحة العلوية الشريفة بصلة، فلاحقوا أئمة أهل البيت عليهم السلام و قتلوهم و سجنوهم.

رحلتها إلى خراسان

اكتنفت السيدة المعصومة عليها السلام - و معها آل أبي طالب - حالة من القلق الشديد على مصير الإمام الرضا عليه السلام منذ أن استقدمه المأمون إلى خراسان.

فقد كانوا في خوف بعدما أخبرهم أخوها أبو الحسن الرضا عليه السلام أنه سيستشهد في سفره هذا إلى طوس، خاصة وأن القلوب ما تزال تدمى لمصابهم بالكاظم عليه السلام الذي استقدم إلى بغداد، فلم يخرج من سجونها و طواميرها إلا قتيلاً مسموماً.

كل هذا يدلنا على طرف مما كان يعتمل في قلب السيدة المعصومة عليها السلام، مما حدا بها - حسب رواية الحسن بن محمد القمي في تاريخ قم - إلى شد الرحال، إلى أخيها الرضا عليه السلام.

وفاتها

رحلت السيدة المعصومة عليها السلام تقتفي أثر أخيها الرضا عليه السلام، والأمل يحدوها في لقائه حياً، لكن وعثاء السفر ومتاعبه اللذينِ لم تعهدهما كريمة أهل البيت عليهم السلام أقعداها عن السير.

فلزمت فراشها مريضة مُدنَفة، ثم سألت عن المسافة التي تفصلها عن قم - وكانت آنذاك قد نزلت في مدينة ساوة - فقيل لها إنها تبعد عشرة فراسخ (٧٠ كيلو متراً)، فأمرت بإيصالها إلى مدينة قم، فحملت إليها على حالتها تلك، وحطت رحالها في منزل موسى بن خزرج بن سعد الأشعري، حتى توفيت عليها السلام بعد سبعة عشر يوماً.

وفي أصح الروايات أن خبرها لما وصل إلى مدينة قم، استقبلها أشراف قم، وتقدمهم موسى بن خزرج، فلما وصل إليها أخذ بزمام ناقتها وقادها إلى منزله، وكانت في داره حتى تُوفيت في سنة (٢٠١ هـ)، فأمرهم بتغسيلها وتكفينها، وصلى عليها، ودفنها في أرض كانت له، وهي الآن روضتها، وبنى عليها سقيفة من البَواري، إلى أن بَنَت زينب بنت محمد الجواد عليها السلام عليها قبّة.

المصدر: وكالة الحوزة

مقال

رحلة السيدة المعصومة عليها السلام إلى قم

خرج الإمام الرضا عليه السلام عن موطنه وأهله وذويه من دون أن يكون له خيار في ذلك. ومما يثير الاستغراب أن الإمام الرضا عليه السلام قد أقام العزاء على نفسه قبل مغادرته المدينة، فقد روى الصدوق بسنده عن الحسن بن علي الوشاء، قال: "قال لي الرضا عليه السلام: إنّي حيث أرادوا الخروج بي من المدينة، جمعت عيالي، فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتى أسمع، ثم فرّقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت: أما إنّي لا أرجع إلى عيالي أبداً".

وبعد، فأين كانت السيدة فاطمة المعصومة من هذا كله؟ وما هي حالها وهي ترى شقيقها يتركها في المدينة وينتقل إلى خراسان حيث الغربة والعناء وفراق الأهل وجوار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ ولو كان الأمر بيده أو بيدها لخرجت معه ولسارت حيث يسير، وعاشت حيث يعيش، ولكنّه خرج مقهوراً تاركاً عياله وأخواته حتى ابنه الإمام الجواد عليه السلام، الذي كان له من العمر سبع سنوات، بل أقلّ من ذلك كما يستفاد ممّا ذكره الشيخ المفيد رحمه الله حيث قال: ومضى الرضا علي بن موسى عليهما السلام ولم يترك ولداً نعلمه إلا ابنه الإمام بعده أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام وكانت سنّه يوم وفاة أبيه سبع سنين وأشهراً.

وكان خروج الإمام الرضا عليه السلام من المدينة سنة ٢٠٠هـ وشهادته سنة ٢٠٣هـ. وقد اعتصر قلب السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام من الألم ولوعة الفراق، وعلمت من خلال ما جرى أنّ أخاها لن يعود، وكانت في جملة الباكين عليه، وقد سمع بكاءها وحسرتها على فراقه، ولعلّه أسرّ إليها أو علمت من خلال مجرى الأحداث بما سيقدم عليه من آلام ومآسي. وسار الموكب الرضوي يقطع البيد والمفاوز والقفار ميمّماً نحو خراسان حيث مركز حكم المأمون وسلطانه.

ومضى عام على رحيل أخيها عنها فهاجت بها لواعج الحنين والشوق إلى أخيها الغريب، وقد علم الإمام عليه السلام بحال أخته، فإنّها لم تغب عن قلبه، وهو يعلم شدّة تعلّقها به، فكتب إليها كتاباً يطلب منها القدوم عليه، وأعطاه أحد غلمانه، وأمره بالمسير إلى المدينة ولا يلوي علي شيء، ولا يقف في طريقه إلا بمقدار الضرورة ليوصل الكتاب في أسرع وقت ممكن، وقد أعلمه الإمام عليه السلام بالمكان والبيت لئلا يسأل أحداً من الناس.

وأغذّ الغلام المسير يواصل ليله ونهاره، حتى شارف المدينة، وجاء إلى بيت الإمام عليه السلام وسلّم الكتاب إلى فاطمة المعصومة عليها السلام. وما إن وقع بصرها على خطّ الإمام حتى تذكرت أخاها، وما كان له معها من شأن، وكأنّه لم يمض عام واحد فحسب، وإنّما عشرات الأعوام. ثم إنّها تهيأت للمسير.

وقد ذكرت المصادر أنّها لما أزمعت الرّحيل إلى لقاء أخيها في طوس، أعدّت للسفر عدّته، وتهيأ ركب قوامه اثنان وعشرون شخصاً ضمّ بعض أخوتها، وبعض أبنائها وغلمانهم، وساروا يقطعون البيد والقفار واتخذوا من الطريق المؤدي إلى قم مساراً لهم إلى طوس. وفي الوقت نفسه تهيأ ركب آخر من بقيّة إخوتها ومن انضمّ إليهم، وخرجوا قاصدين إلى طوس حيث الإمام الرضا عليه السلام، فقد ذكروا أنّ الإمام الرضا عليه السلام قد استأذن المأمون في قدومهم، وكان قوام هذا الركب ثلاثة آلاف شخص، فقد التحق بهم عدد كبير من بني أعمامهم وأولادهم وأقاربهم ومواليهم، كما التحق بهم في مسيرهم أعداد كبيرة من الشيعة رجالاً ونساءً حتى بلغوا قريباً من خمسة عشر ألف شخص.

وقد اختاروا المسير عن طريق شيراز وكان في طليعة هذا الركب أحمد ومحمد والحسين أبناء الإمام الكاظم عليه السلام. وأمّا ركب السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام فقد اتخذ طريق قم، ولكن ما إن وصل إلى ساوة - وهي بلدة لا تبعد كثيراً عن قم - حتى حوصر الرّكب، فقتل وشرّد كل من فيه، وجرحوا هارون أخا الإمام الرضا عليه السلام، ثم هجموا عليه وهو يتناول الطعام فقتلوه.

وكان ذلك كلّه بمرأى من السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، فقد شاهدت مقتل إخوتها وأبنائهم، ورأت تشرّد من بقي منهم، فماذا سيكون حالها آنذاك؟. وعلى أي حال فقد كانت الأيام الأخيرة من حياة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام مريرة مؤلمة عانت فيها آلاماً في الروح وآلاماً في الجسد حتى آذنت شمسها بالمغيب.

ورحلت السيدة المعصومة عليها السلام من ساوة وهي مثقلة بالهموم والآلام والأحزان ميمّمة نحو قم، وكانت على موعد مع هذه البلدة الطيبة، والتي ستزداد مكانتها رفعة وشأناً وشرفاً يوم تطأ أرضها قدما السيدة فاطمة عليها السلام، ولنا حديث حول قم وتاريخها سيأتي في موضعه. لقد علمت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام؟ بأنّها المعنية في ما ورد عن جدّها الإمام الصادق عليه السلام يوم قال: "وإنّ لنا حرماً وهو بلدة قم وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمّى فاطمة فمن زارها وجبت له الجنة "".

وذكر الرواة أن الإمام عليه السلام قد حدّث بذلك قبل ولادة الإمام الكاظم عليه السلام. وعلمت السيدة فاطمة عليها السلام بقرب رحيلها عن الدنيا، وأنّها لن تلبث إلا أيّاماً قليلة، كما علمت أن مواصلة المسير إلى طوس أصبح عسيراً بعد أن فقدت إخوتها وأبناءهم قتلاً وتشريداً، ولم تكن أرض ساوة ولا أهلها آنذاك أهلاً لاستضافتها، ومن أجل ذلك كان لابدّ أن رحلت عن ساوة إلى قم، فأمرت خادمها أن يحملها إليها.

ولما بلغ أهل قم نبأ قرب وصولها خرج الأشراف لاستقبالها، ولعلّهم كانوا يعلمون بما حدّث به الإمام الصادق عليه السلام، وأنّ هذه المرأة الجليلة هي التي وعدوا بها، وكان في طليعة مستقبليها موسى بن خزرج بن سعد الأشعري، فلمّا وصل إليها أخذ بزمام ناقتها، وجرّها إلى منزله وكانت في داره سبعة عشر يوماً. ولا زال موضع المنزل ماثلاً إلى اليوم، حيث أصبح مدرسة علميّة ومسكناً لطلاب العلوم الدينية في قم، وقد اتخذت من بيته موضعاً جعلته محراباً لها تصلّي فيه.

يقول الشيخ المحدّث القمّي: "والمحراب الذي كانت فاطمة رضي الله عنها تصلّي فيه موجود إلى الآن في دار موسى ويزوره الناس". وما يزال هذا المحراب المبارك موجوداً إلى يومنا هذا ويقع في محلّة ميدان مير ومعروف ب "ستية" والتي بمعنى السيّدة. لقد كانت السيدة فاطمة المعصومة عها؟ تأمل في أن تحظى بلقاء شقيقها الرضا عليه السلام، لتطفئ لواعج الشوق والحنين، وتروي ظمأ الفؤاد، وكانت تغذّ السير نحو طوس لا تلوي على شيء.. ولكنّها الأقدار الإلهية ومشيئة الخالق الحكيم، وليس إلا التسليم والرضا بما شاء وأراد.

المصدر: فاطمة المعصومة قبس من أشعة الزهراء، محمد علي المعلم، دار الهادي، ط١، بيروت/لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١٣٢-١٥٠.

شهداء الفضيله

الشهيد حجة الاسلام والمسلمين فضل الله محلاتي رحمه الله عليه

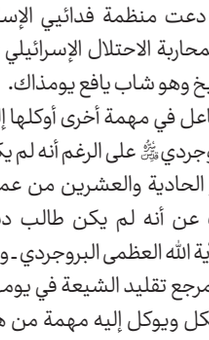

ولادته ونسبه

ولد الشهيد حجة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ فضل الله محلاتي عام ١٣٠٩هـ.ش في أسرة متدينة في مدينة محلات، وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية، اتخذ له حجرة في حسينية بلدة محلات ليبدأ حياة جديدة في سلك طلبة العلوم الدينية، فأنهى الدروس التمهيدية (المقدمات) في بلدته ليتوجه عام ١٣٢٤هـ.ش إلى الحوزة العلمية في قم. كانت معرفته بآية الله العظمى الحاج السيد محمد تقي الخوانساري ـ الذي أُقصي في حينها من العراق إلى إيران ـ وإقامته في داره، قد أدت إلى اطلاعه على قضايا السياسة منذ تلك الأيام.

ماضيه الجهادي

بدأ الشهيد محلاتي جهاده ضد نظام الشاه إثر معرفته بمنظمة "فدائيي الإسلام" والمرحوم آية الله الكاشاني. وعندما دعت منظمة فدائيي الإسلام آنذاك إلى التطوع لمحاربة الاحتلال الإسرائيلي في القدس، تطوع الشيخ وهو شاب يافع يومذاك.

كما كان له دور فاعل في مهمة أخرى أوكلها إليه آية الله العظمى البروجردي رحمه الله على الرغم أنه لم يكن في حينها قد جاوز الحادية والعشرين من عمره، الأمر الذي يكشف عن أنه لم يكن طالب دين عادي، وإلا لم يكن آية الله العظمى البروجردي ـ وهو زعيم المسلمين ومرجع تقليد الشيعة في يومها ـ ليُعنى به بهذا الشكل ويوكل إليه مهمة من هذا القبيل.

وعند اقتراب عودة الإمام الخميني رحمه الله كان الشهيد محلاتي أحد أبرز الناشطين في لجنة استقبال السيد الإمام. وكان الشهيد يعمل بأمر السيد الإمام مع جماهير الشعب للسيطرة على مراكز القدرة في حكومة الشاه، وكان يسخر كل طاقاته في سبيل نجاح الثورة الإسلامية؛ فقد شارك في الهجوم على مركز الإذاعة، وكان صوته الذي دوى به نداء الثورة الإسلامية لأول مرة من بعد ألف وأربعمئة عام من تاريخ الإسلام. كان نشاطه قد بلغ حداً من السعة بحيث كان أصحابه يعبرون عنه بـ "محرك الثورة".

نشاطه بعد الثورة الإسلامية

وبعد أن عاد الإمام رحمه الله، أصبح الشهيد جندياً مثابراً له وللثورة، فقد بدأ نشاطه من بعد انتصار الثورة معاوناً للجنة المركزية للثورة الإسلامية واستمر في حرس الثورة ثم في قضايا الحرب المفروضة على إيران.

استشهاده

الأول من اسفند (الشهر الفارسي الثاني عشر) ذكرى الهجوم الوحشي لطائرة العدو البعثي على طائرة الركاب الإيرانية. في هذا اليوم، اقترف النظام البعثي إحدى أكبر جرائمه بقتل خمسين من شخصيات الدولة وعلماء الدين وأنصار الثورة في هجومه على طائرة الركاب الإيرانية ومنهم الشهيد محلاتي. ومن الطبيعي أن لم تحصل أي إدانة لهذه الجريمة الوحشية من قبل دول العالم والأوساط الدولية! الأمر الذي يعنى تأييد صدام على جرائمه الوحشية تلك.

علماء وأعلام

آية الله العظمى السيد علي القاضي الطباطبائي قدس سره

الولادة والارتحال

ولد السيد علي القاضي قدس سره يوم ١٣ من ذي الحجة لعام ١٢٨٥ هـ.ق في مدينة تبريز في إيران.

وكان ارتحاله عن هذه الدنيا الفانية في ٦ ربيع الأول لعام ١٣٦٦، في النجف الأشرف

أستاذه في العرفان: سماحة آية الله الحاج السيّد أحمد الكربلائي قدس سره، و هو بدوره كان تلميذا في السير و السلوك عند آية الحق و العرفان الحاج الشيخ ملا حسين قلي الهمداني قدس سره.

بعض تلامذته: كان للسيد القاضي الكثير من التالمذة السلوكيين الذين حلقوا في سماء المعرفة، و من أبرزهم: العارف الكامل الحاج السيد هاشم الحداد قدس سره؛ العارف الكامل العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره؛ العارف الكامل آيةالله الحاج السيد حسن المسقطي قدس سره؛ آيةالله الحاج الشيخ عباس قوچاني رحمه الله؛ آيةالله الحاج الشيخ محمد تقي بهجت رحمه الله؛ السيد علي القاضي عارفٌ و فقيهٌ لا نظير له.

قال سماحة الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد رحمه الله:

«لم يأت منذ صدر الإسلام حتّى الآن في مثل شمول وجامعيّة المرحوم القاضيّ».

وكان يقول: «لقد كان المرحوم السيّد (القاضيّ) عالماً لا مثيل له في الفقاهة، ولا مثيل له في فهم الرواية والحديث، ولا مثيل له في التفسير والعلوم القرآنيّة، وفي الأدب العربيّ واللغة والفصاحة، وحتّى في التجويد والقراءات القرآنيّة».

ويقول المرحوم العلامة الطهراني رضوان الله تعالى عليه:

«كان المرحوم القاضي يتمتّع بجنبتي العلم والعرفان، ففي العلوم الظاهريّة كان فقيهاً عظيماً وعالماً جليلاً، وفي العلوم الباطنيّة كان عارفاً واصلاً وإنساناً كاملاً... إنه فَريد العصر وحسنة الدهر وسلمان الزمان وتَرجُمان القرآن».

وكان المرحوم العلّامة الطباطبائيّ رضوان الله تعالى عليه يقول:

« كلّ ما لدينا هو من المرحوم القاضي. إنّ هذا الأسلوب الذي يفسّر الآية بالآية قد تعلمناه من المرحوم القاضي، وقد تعلّمنا منه طريقة فهم الأحاديث التي يقال لها: «فقه الحديث»».

تواضعه وسيرته الأخلاقيّة: يقول السيّد محمّد حسن القاضي ابن السيد علي القاضي عن والده:

«كان أبي متواضع جداً، وكان يظهر غاية الاحترام للزوّار الذين كانوا يأتوا إلى منزله ويتحدّث معهم، وفي مجالس العزاء التي كانت تعقد في منزله كان الحضور يجلسون على الحصير أمّا هو فكان يجلس عند باب الغرفة أو في صحن الدار على الأرض جنب الاحذية بحيث كان جميع بدنه على الارض، وكان يجمع أحذية الداخلين بيده الواحد تلو الآخر فيضمّ الاحذية المنفردة إلى مثيلتها، ويرتّبها أمام أرجلهم أجمعين دون استثناء. وكان يتعامل من الجميع برحمة ولطف ومحبّة».

التعلق بأهل البيت عليهم السلام

كان المرحوم القاضي يقول: «لقد نمت في جميع نقاط الصحن المطهّر، وكلّما كنت أتشرّف بالزيارة كنت أبيت في كلّ ليلة في موضع من المواضع وأنام فيه، بحيث لم يعد هناك مكاناً يسع بدني لم أكن قد نمت فيه».

وكان يقول: «لا تغفلوا عن التوسّل بالأئمة وبالأخص سيّد الشهداء عليه السلام؛ فإنّ مفتاح الطريق في هذا التوسّل، ولا فائدة من دونه».

بعض كلمات السيد علي القاضي وتوصياته النورانية: يقول السيد علي القاضي قدس سره: "مَن عثر على الاستاذ، طوى نصف الطريق"

ويقول: "وأكثر الذين وُفِّقُوا لنفي الخواطر، واستطاعوا أن يُطَهّروا أنفسهم ويصفّوها حتّى ظهر فيها سلطان المعرفة، إنّما كان ذلك منهم في إحدى حالتين: حين تلاوة القرآن المجيد، والتوسّل بمقام أبي عبد الله عليه السلام".

ويقول: «إنّ على الإنسان أن لا ييأس أبداً، وأن لا يكفّ عن السير والسلوك إن تأخّر وصوله إلى النتيجة. فقد يحفر المرء الأرض بظفره شيئاً فشيئاً فينبع من تحت أصابعه فجأة ماء زلال فوّار بضخامة عنق الناقة».

وكان ينتقد العلماء الذين يشتغلون على الدوام بكتابة الكتب الظاهريّة والبحوث التي لا طائل منها والشروحات المفصّلة على أصول الفقه، وبالنتيجة تبقى أيديهم خالية عن المعرفة، وكان يستنكر هذه الطريقة أمام تلامذته».

ومن توصياته المهمة قوله: «وإذا حفظت صلاتك فكل أمورك ستكون محفوظة».

وقد أوصى المرحوم القاضي قدس سره تلامذته بزيارة أهل القبور، وأن يجلسوا بعد قراءة الفاتحة في زاويةٍ وأن يمضوا ساعةً من الوقت بالصمت والخلوة والتفكّر في المآل وفي عاقبة الأمر وفي الموت، وكان يقول:

«لهذا الأسلوب تأثيرٌ جيّدٌ في قطع التعلّقات، والتفات النفس إلى مبدأ الوجود، ويمنع من الالتفات إلى الكثرات».

المصدر: مدرسة الوحي

حوار

جهود المحقق السيد أحمد الحسيني الاشكوري في حفظ التراث

ليلى البحراني- لندن

بين الأصالة والحداثة... تقف كنوز الماضي.. شامخة أمام محترفي فنّ التحقيق والفهرسة ليعيش المحقق بين السطور ويذهب بعيداً ما دار بين الزمنين.. زمن حاضر يتشوق لزمن ولّى.. لم يبق منه إلا أوراقه الصفراء.. تفتش عن أيدي ماهرة تتقن وتعشق ثقافة التحقيق.. تبحر عميقاً لتكتشف بين طيّات البحر الهائج.. وقد أكل الدهر جزءاً من أوراقها.. تصارع الموت في عالم المجهول.. حينها يأتي المؤلف النجفي والمحقق والمفهرس البارع العالم السيد أحمد الحسيني الإشكوري لينقذ من ذلك العالم الخفي مخطوطات نفيسة يعيد لها رونقها وينبض بين أوراقها وسطورها الحياة.. ويستدل منها أسرار الكتب والكلمات.. ويستكشف فنّ الكتابة ونوع الورق.. لأناس قد رحلوا.. وأمم قد خلت.. كيف كانت تكتب.. وكيف تفكر.. وما هو تأريخها وفنها وعراقتها.. وما مدى مصداقيتها وأسلوبها في نقل الخبر؟.. حتى يصل إلى الحقيقة الكاملة ويضعها بين يدي العالم الحاضر بأسلوب ذي تقنية خلابة أخذت جانباً من مسيرة عمره في الحياة.. فمن هو العالم أحمد الحسيني؟.. وما هي نتاجاته؟.. وما هي منهجيته في الفهرسة والتحقيق؟.. وما هي مؤلفاته ومطبوعاته؟.. وما حجم مكتبته؟.. وهل هو فعلا كما وصفه نجله السيد جعفر الحسيني قائلا « إن الحديث عن التراث والفهرسة والمخطوطات حديث مبتور إن لم يقترن باسم أحمد الحسيني »؟

عندما دعاني السيد الجليل الحسيني مع زوجي إلى الاستمتاع بمكتبته في مدينة قم بعد أن ترك مكتبة له في النجف الأشرف قبل أكثر من خمس وثلاثين عاماً لظروف حالكة مرّت به وعانى منها، أسس بعدها مكتبةً في قم يناهز عمرها الآن ثمانية عشر عاماً تضم أكثر من خمسة عشر ألف كتاب، قال لي « إن منامي وقراءتي وتحقيقاتي وفهرستي واستقبال ضيوفي تتم كلها في مكتبتي ». وفعلا رأيت مكان منامه ووسادته يأخذ حيّزاً داخل هذا الصرح الثقافي العظيم يعانق الارض بكل تواضع اسوة ببعض كتبه التي لم يوفر لها الحظ قسطاً من الراحة وترتفع مع مثيلاتها عاليةً فوق الرفوف متشامخة تتصدر عناوين مذهلة في اللغة والأدب والمئات من كتب العقائد والفلسفة والتفاسير القرآنية وهناك مجاميع التأريخ والأديان والمذاهب وعلوم أهل البيت عليهم السلام والأصول والفقه والحديث « وتملك المكتبة آثار الرسول في جناح الامانات تخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام حصل عليها من متحف تركيا » وكذلك تحوي الدواوين الشعرية النادرة من العصر الجاهلي وصدر الاسلام والأمويين والعباسيين وحتى عصرنا هذا (لكن دواوين العصر الجاهلي احتل المرتبة الأولى في العدد والندرة). هناك مجموعة رباعيات الخيام في ثلاثين لغة. اضافة الى الكتب والمطبوعات النادرة لتأريخ العرب بالعربية فهناك دورتان كل منها في سبع مجلدات لتاريخ العالم وتواريخ عربية أخرى كمروج الذهب و الكامل في التاريخ لابن الأثير و تاريخ الطبري الطبعة القديمة والحديثة المحققة. ومطبوعات عن تاريخ تيمور لنك طبعة جامعة اكسفورد لعام ١٧٨٠ م، وتحوي المكتبة نسخة من الكتاب المقدس الطبعة القديمة لعام ١٨٩٥ م التي تضم هوامش مهمة جداً يذكر فيها تأريخ وقوع الحادثة وشرح كامل جزءاً للقضية كما يجمع ويوجد المقاطع المتشابهة.

أما فيما يخص اللغة فتحوي المكتبة على الطبعة القديمة من كتاب لسان العرب في خمس عشرة مجلدة و تاج العروس بعشرة مجلدات والطبعة المحققة الحديثة في أربعين جزءاً و قاموس اللغة و الجاسوس على القاموس في طبعة ١٢٩٩ هـ. و النهاية لابن الأثير و الصحاح للجوهري و معجم مقاييس اللغة لابن فارس و أساس البلاغة للزمخشري وهذه المطبوعات وما أشبهها قلما تجدها مجتمعة في باقي المكتبات. إن من مميزات هذه المكتبة أنها تهتم بالمصادر الأصيلة الأم، فالسيد في شرائه للكتب يعتني بهذه المصادر حتى تكون عوناً له في ما يقوم به من البحث والتحقيق.

وتجلب النظر كثرة محققات السيد للتراث العربي، وعلى سبيل المثال رياض العلماء في سبعة أجزاء و مجمع البحرين في ستة أجزاء و أمل الآمل في جزئين. و كشف الريبة في جزء. و نهج المسترشدين في جزء. و تبصرة المتعلمين في جزء، و ضيافة الإخوان في جزء. وديوان أبي المجد في جزء. و الهيئة والاسلام في جزء. والعشرات من قبيل هذه المصادر التراثية الهامة.

كما أن للسيد الحسيني من المؤلفات أربعة أجزاء في تراجم الرجال و مؤلفات الزيدية في ثلاثة أجزاء و الامام الحكيم في جزء و الامام الثائر في جزء و الامام الشاهرودي في جزء و إجازات الحديث في جزء و تلامذة العلامة المجلسي في جزء..

وقد أشرف على عشرات الكتب التي تم طبعها في العراق وبيروت وإيران من دون الاشارة إلى اسمه.

للعالم الحسيني أكثر من ٣٠ ألف بطاقة غير مطبوعة وبخط يده تخص فهرسة المخطوطات العربية في إيران وتحوي على معلومات موجزة يذكر فيها مواصفات الكتب والنسخ في فهرس عربي شامل، وستمثل للطبع بعنوان « التراث العربي المخطوط في مكتبات ايران العامة ».

أما تميّزه في فنّ الفهرسة جعله ينال لوحة أفضل مفهرس بعنوان « المفهرس النموذجي » لعام ١٤٢٠ هـ من وزارة الثقافة والارشاد في الجمهورية الاسلامية الايرانية، وأصبح أسلوبه السهل الواضح في الفهرسة نموذجاً يحتذى به..

لقد فهرس مكتبة السيد المرعشي في سبع وعشرين مجلداً لـ (١٦٧٩٧) عنوان كتاب ورسالة، وهذه تعتبر من أكبر الفهارس المكتوبة في العالم لمفهرس واحد، وفهرس مخطوطات مركز إحياء التراث الاسلامي في قم لـ (٤٦٠٦) عنوان، كما فهرس مخطوطات لأكثر من ستة وعشرين مكتبة عربية وفارسية تضم آلافاً من المخطوطات. كما أن للمبدع الحسيني دليلا خاصاً للمخطوطات يعود إلى فهرسة مكتبات خاصة وشبه خاصة التي اطلع عليها بنفسه وأدرج فيه فهارس مختصرة لهذه المكتبات، ويحتوي الدليل على ثلاثة أجزاء كبيرة تضم مخطوطات لـ (٤٤ مكتبة) كمخطوطات لمكتبات السيد الطباطبائي والبروجردي والجزائري وهدايتي والمرتضوي والمهدوي والعشرات غيرهم.

الحسيني ابن السابعة والسبعين عاماً لا تقف أمامه ماكنة العمر.. نشاط مفعم.. وعطاء مستمر.. رغم تعب الحياة. وقد أحصى بعض مترجميه المخطوطات التي فهرسها بعد الاطلاع المباشر عليها فكانت سبعة وأربعين ألف عنوان.

وأنا أتجول معه داخل مكتبته طرحت عليه بعض الاستفسارات التالية:

كيف تعتمد على جمع المطبوعات الحجرية والكتب النادرة؟

في روما، وأنا كثير السفر لأجل هذا الغرض، كما استطيع أن أحصل على ما أريد من معارض الكتب في مصر والعراق وسورية والمغرب والهند وافغانستان وكثير من الدول الأخرى؟

ما هو المنهج الذي تتبعه في فهرسة المخطوطات؟

وضعت منهجاً خاصاً للعمل الفهرسي وأسلوباً أعتقد أنه الطريقة الأسهل والأيسر أمام المحقق والباحث، تتلخص في تعريف كل نسخة أتناولها بالفهرسة إلى قسمين مختلفين وهما:

القسم الأول . تعريف موجز للكتاب الذي أتناوله تعريفاً علمياً وتأريخياً مع ذكر عدد فصوله وأبوابه إضافة إلى ذكر من ألف له وتأريخ التأليف وخصائص المؤلّف.

القسم الثاني . وصف النسخة من الجانب الفني، حيث أذكر في الوصف اسم كاتبها وتأريخ نسخها وما تمتاز به من ميزات التصحيح والقراءة لدى أحد العلماء والتعليقات والبلاغات والاجازات والفنون الزخرفية وما إلى ذلك من الملاحظات الأخرى. كل قسم يطبع بحروف خاصة: فالأول بحروف كبيرة وبأسطر طويلة، والقسم الثاني يطبع بحروف أدق وسطور قصيرة. وفي كلا القسمين حرصت أن يكون الوصف مختصراً وواضحاً يوفي بالغرض والفائدة من دون تطويل فارغ.

كيف تقيم مكتبتك مادياً؟

أنا لا أستطيع أن أقيم مكتبتي في سعر معيّن، فهي لا تقيّم نظراً لأهمية ما فيها من نوادر المطبوعات، لكن ربما قد يصل سعرها إلى مائتي ألف دولار أو أكثر.

بعد العمر الطويل لكم هل ستتحول المكتبة إلى وقف يستفيد منها الباحث؟

لا أفكر في البيع أو الوقف. أولادي سيتولون شأنها.

بم تمييز مكتبتك عن باقي المكتبات؟

بعيداً عن المطبوعات الحجرية النادرة والوثائق واللوحات الملونة والمزخرفة القديمة التأريخية التي يعود قسم منها إلى ٤٠٠ عام للملوك والرؤساء وكثرة الدواوين الشعرية للعصر الجاهلي وكتب تراجم الرجال التي تعد فوق الألفين، فهناك ميّزة مهمة جداً في مكتبتي وهي أنني اهتم واعتني بالتجليد، حيث يتم التجليد بالطريقة العصرية وبأطارات وزخرفات من ماء الذهب ذات الكلفة الغالية.

المكتبة مرتبة بترتيب دقيق حسب الموضوعات العلمية تيسيراً لمراجعاته ومراجعات بعض المحققين من أصدقائه. والكتب باللغات العربية والفارسية والأردوية والتركية والانكليزية والألمانية والايطالية واليابانية.

* * *

لابدّ من الذكر أن الحسيني هو مؤسس مركز إحياء التراث الاسلامي قبل إثني عشر عاماً (١٤١٧ هـ) وهو الآن المسؤول المباشر لادارته وبرعاية الامام آية الله العظمى السيد على السيستاني. ويُعتبر المركز الآن من أنشط المراكز في تصوير المخطوطات ووضعها أمام الباحثين. فانه يضم هذا المركز الشهير مكتبة بنيت وتكونت بمساعي وجهود الحسيني حيث تحوي أكثر من ٨٥ ألف مطبوعة وإحدى عشرة ألف مخطوطة نادرة يرجع البعض منها إلى القرن الخامس الهجري إضافة إلى وجود سبعة آلاف وثيقة تأريخية وسياسية ملونة بخط يد الملوك والرؤساء وبأختامهم الخاصة يرجع أصولها إلى ٤٠٠ أو ٣٠٠ عام، وفي المركز أكثر من خمسين ألف مصوَّرة لكتب صُورت من المكتبات الأوربية والعربية وغيرها.

وللمركز متحف خاص لوسائل التحرير، فالاختام ترجع أعمارها إلى ٤٠٠ عاماً وهناك أكثر من (١٢ نوع قلم مع المحافظ المزركشة) وأكثر من (٥٠) نوعاً من الأختام التي كانت تستعمل لختم الوثائق الرسمية أو الرسائل الخاصة بدلا عن التوقيع في عصرنا الحاضر. وتحوي المكتبة على أوراق قديمة على الرق من القرآن الكريم ونسخة من المصحف مزخرفة خطت على ورق خاص طوله سبعة أمتار، إضافة إلى وجود ألوف من الكتب بالطبعات الحجرية النادرة.

المصدر: مشرقيات

المدرسة الستّية ومقام بيت النور

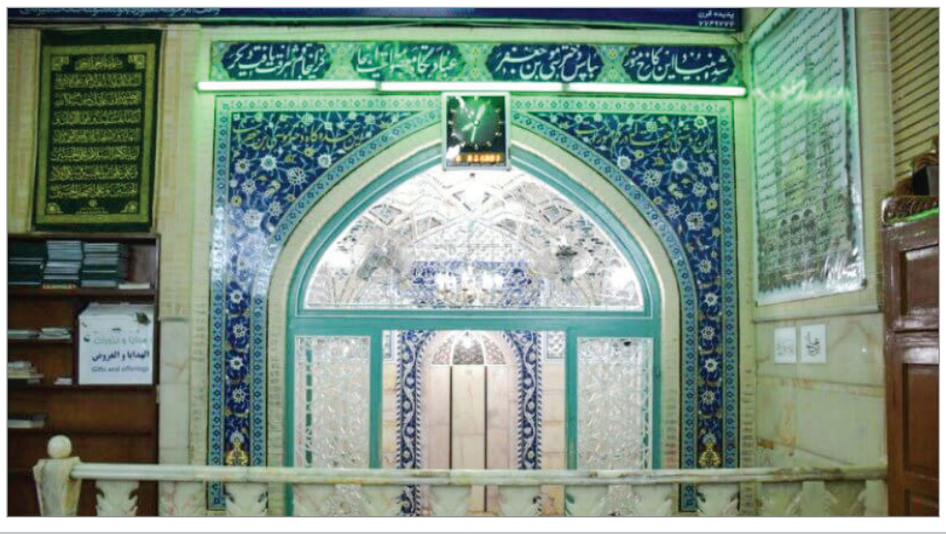

بقعة مباركة في مدرسة الستّية في ميدان مير شارع چهار مردان، حجرة صغيرة مزيّنة بالمرايا والمحراب موضع عبادة السيّدة فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليه السلام عند قدومها إلى قم وبقائها سبعة عشر يوماً، ثمّ توفّيت وانتقل جثمانها الطاهر من هذا الموضع إلى مقبرة بابلان.

والبقعة من دار موسى بن خزرج الأشعري ، وبعد رحلة السيّدة وقفت الأرض وعرفت البقعة بـ(بيت النور)، وبني بجوارها مدرسة علمية ومسجدا وحسينية لإقامة المراسم الدينية وعزاء سيّد الشهداء عليه السلام.

وتعدّ المدرسة من المدارس القديمة ، إلّا أنّها تجدّد بناؤها لعدّة مرّات ، منها: سنة ١٣٥٢هـ، وأخيرا سنة ١٤٢٠ هـ بنيت بطراز جميل . وميدان مير إنّما سمّي باعتبار إحداثها من قبل مير أبي الفضل العراقي القمّي، وكان وزيرا للسلطان طغرل الكبير، فبناها حدود سنة ٤٤٧هـ.

ثمّ هناك مدارس كثيرة قديمة وحديثة متطوّرة، منها: مدرسة الإمام الخميني قدس سره، ومدرسة المعصوميّة، ومدرسة الشهابيّة ، وغيرها. ومجموعها ما يقارب خمسون مدرسة منها جامعة الزهراء المختصّة بالنساء، صانها الله من حوادث الأيام وبوائق الدهور.

المصدر: الولاية دات نت

مقالة

الفطرة والدين في نصوص الشاه آبادي

الشيخ حسن بدران

للوهلة الأولى، يمكن اعتبار الفعاليات والأنشطة التي تصدر عن الحيوان بدافع غريزي بحت على أنها ممارسات صادرة عن الطبيعة الحيوانية البحتة. ومثل هذه الأفعال، لو صدرت عن الإنسان، لا نصنفها من أعمال الطبيعة الإنسانية فيه، لأنها لم تصدر عن الجهة المميزة له. وبهذا الاعتبار، سوف يبدو النشاط الغرائزي كما لو أنه معطى هابط في طبيعة السلوك الإنساني، وفي القيم، والأعراف، والقوانين الكلية. وبمعزل عن الدواعي الحيوانية، من شهوية وغضبية، يتميز الإنسان بدواع نطقية من تذكّر وتفكّر، ومع ذلك فهي دواع صادرة عن تعمل وتكسب. أما الدواعي التي تستحق الاهتمام، بوصفها دواع تلقائية داخلية، فهي تلك التي تصدر عن حب ذاتي، وعشق جِبِلّيّ، وشوق فطري. فالنفس الإنسانية تمتلك في بعدها الحي، الذي به تعيش وتشعر وتتحرك بالإرادة، ميولًا داخلية مبثوثة عميقًا في الطبيعة الإنسانية، وهي تشكل بذورًا أولية لكمال الإنسان بما هو إنسان.

هذه الدوافع الفطرية والتي تطبع النفس الإنسانية بطابع خاص، تتجاوز بها حدود عالم المادة، وتكشف عما يكتنف النفس من نزوع لا يمكن معه عزو النفس إلى حيطة الطبيعة. وهي بنحو ما، تتمثل فيها أصول كمالات الإنسان.

إنّ الصفات والميول التي فطر عليها الإنسان إنما هي من لوازم وجوده، ومن كيفيات إيجاده - التي هي نفس هويته. فالفطرة تعبير آخر عن كيفية إيجاد الإنسان، وهو قد أوجد بكيفية خاصة بأن جُبل على معرفة أصول الواقعيات وطلب الكمالات. والإنسان يجد الاقتضاءات الفطرية في نفسه وينساق إليها جَبِليًّا. فهي ثابتة، مجعولة بنفس جعل وجوده. ولذلك لا ينفك الإنسان عنها بحال، بل هو يتطلبها دائمًا في ذات وجوده ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾.

ويتفرع عن مواكبة الفطرة للوجود الإنساني، وتلازمها معه، وكونها كتاب الذات المكتوب بيديه تعالى، أنه لا مجال لتصرف الوهم والخيال في الفطرة، ولأن الفطرة معصومة عن الخطإ في أحكامها ومتطلباتها، كان حكم الفطرة ومقتضاها هو الدين القيم ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾، فهي التي يتوقف تحقق الكمال الخاص بالإنسان على متابعتها.

أما سبب الانحراف عن الفطرة فيعزى إلى الركون إلى الطبيعة؛ إذ مقتضى الفطرة غير مقتضى الطبيعة؛ مقتضى الفطرة الحضور والوعي، ومقتضى الطبيعة الغياب والخدر؛ والإنسان يجد نفسه في الحضور واليقين والاطمئنان ونحوها من عوامل توكيد الذات الإنسانية. وحين ينشأ الحجاب من الاحتجاب بالطبيعة، لا يعود يميز الإنسان بين مقتضى الفطرة ومقتضى الطبيعة، فيقع في دائرة الاغتراب عن النفس: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

ويتضح مما تقدم أمور:

١. أن الفطرة تعبير عن كيفية إيجاد الحق للخلق، ومقتضاها هو معرفة أصول الكمالات وطلبها، وهي واجبة الاتباع؛ بمعنى أن الإنسان يجدها في نفسه وينساق إليها جِبِلِيًّا.

٢. أن الفطرة لازمة لوجود الإنسان، فهي ثابتة لا تزول، لأنها مجعولة بنفس جعل وجوده، لا بجعل زائد.

٣. أن الفطرة معصومة عن الخطإ في أحكامها ومقتضياتها، لا مجال لتصرف الوهم والخيال فيها، لأنها كيفية إيجاد الحق، كتبها بيديه تعالى، وطابق بها كتاب ذاته تعالى، لاتفاقهما في لوازم الوجود.

٤. أن مقتضى الفطرة غير مقتضى الطبيعة، إذ مقتضى الطبيعة الاحتجاب.

من هنا، يأخذ الشيخ الشاه آبادي في كتابه (رشحات البحار) في بحثه الموسوم بكتاب الإنسان والفطرة، في بيان أصول الكمالات، ويعدّدها إلى ست كمالات على ضوء الآية الكريمة من سورة الروم ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾،كاشفًا عن كيفية توقف هذه الكمالات على الفطرة، ومبينًا لها على النحو التالي:

١. معرفة الإنسان نفسه (أصالة معرفة الذات)

يميل الإنسان إلى معرفة نفسه بدافع ذاتي، ويتحدّد هذا الدافع من خلال فطرته العالمة، والعاشقة، والكاشفة، وفطرة حب الراحة، وفطرة طلب الحرية. وتعتبر هذه الدوافع بكافة تجلياتها من أبرز الملامح سطوعًا في تحديد الطبيعة الإنسانية. والتي تنأى بها عن الانتماء إلى حضن الطبيعة المادية، وحسب تعبر الشيخ: "حقيقتي غير طبيعتي". وهو يبين هذه الملامح على النحو التالي:

أ) الفطرة العالمة: العلم ميزة إنسانية، بحيث يجد الإنسان نفسه في العلم والحضور، ويفقدها في الجهل والغياب. وبمقدار تكثيف زخم الحضور يترسخ الحضور الإنساني، بينما يتسبب الجهل بضمور إنسانيته واحتجابها. ولأنه لا حضور للطبيعة التي هي مناط الغيبة والجهل، يجهد الإنسان في السيطرة على الطبيعة، والتغلب عليها، وتطويعها، وهو لا يكتفي بعيش علمه، بل هو يعي لوازمه، ويستثمر معلوماته في تحقيق غاياته. والطبيعة لا تعي ذاتها، وإنما هي مجال وعي النفس؛ إن لذعة الجوع لا تدركها "طبيعة" الجائع، بل تدركها أناه، وقد لا تدركها بسبب انشغالها وإن كانت الطبيعة تفعل مقتضاها. فالنفس خارجة عن أسر الطبيعة، داخلة في عالم الأمر والمشيئة.

ب) الفطرة العاشقة: الإنسان عاشق لنفسه ولكماله ولإضافاته، حتى أن المنتحر لا ينتحر إلا لحبه نفسه. ويترتب على ذلك أن الإنسان يدرك نفسه كقيمة، ويميز نفسه عن سائر المخلوقات الأخرى حين يجعل منها غاية في نفسها، وليس مجرد وسيلة للغير.

ج) الفطرة الكاشفة: يزاول الإنسان أعماله بدافع من القناعة الداخلية، ولا يتحدد نشاطه بفعل الإكراهات والمؤثرات الخارجية كما تزعم بعض المدارس النفسية. والإنسان لا يصدر قرارًا بشأن الأشياء، أو يتخذ موقفًا منها، إلا بعد انكشاف هذه الأشياء في نفسه. بل إن الإنسان لا يتحرك نحو الشيء إلا بعد العلم بنفعه فيجلبه، أو ضره فيدفعه، فهو يستبد برأيه؛ ولا يستظل برأي أحد إلا بعد انكشافه في نفسه.

د) فطرة حب الراحة: وهي مطلب السعادة، الذي ينشده الإنسان في سعيه مدفوعًا في ذلك بدافع عشقي، بحيث يتعب نفسه في تحصيله، وهي اللذة المطلقة.

هـ) فطرة طلب الحرية: وهو عشق الإنسان لنفوذ مشيئته، وعدم المانع لمقصده؛ ذلك أن الإنسان يتعامل مع الأشياء بوصفها موضوعات خاضعة لمشيئته. وهو حين يطالب بحريته لا ينتظر حتى يصل إلى مرحلة الرشد الفكري، ولا يقوم بعملية تفكير حر وناقد حتى يستنتج ويثور ويطالب بحريته! وإنما يشعر بالحاجة إلى نفوذ مشيئته في جبلته وفطرته.

وهذه الفطرة تظل مواكبة له على الدوام منذ خطواته الأولى المراهقة، ولهذا قد يقاوم عمليات التطبيع الأسري والمدرسي، والتي تظهر في بعض ردود الفعل الممتعضة. كما قد تخضع فطرته لنوع من التحوير ومحاولات الوأد:" كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه". ومع ذلك، فإن الفطرة تظل تراود الإنسان وتعاود نشاطها من وقت لآخر، وتنتفض، وتنفض التراب عن وجهها.

وعليه، يتوفر الإنسان على دوافع فطرية تتجاوز في متطلباتها حدود عالم المادة، وتضفي على الطبيعة الإنسانية تميزًا فائقًا يتجاوز في دلالته أي قابلية للتفسير وفق حتميات قانون الطبيعة العامة.

٢. معرفة الإنسان وجهه (أصالة التوجه)

المقصود بوجه الإنسان جهة معرفته، والمتوجه إليه هنا هو الدين، والذي هو من مقولة المعاني، فالإنسان مجبول على التوجه، وهو توجه قصدي ملازم لطبيعته؛ إذ إن قبلته دائمًا هي الحقيقة. ولذلك هو يتوجه إلى الواقع بكل حيثياته الوجودية -حسًا، وعقلًا، وقلبًا، وروحًا- حتى يبلغ ذروة التوجه من خلال مجاوزة التوجه نفسه إلى التحقق بأخلاق الكمال.

وتماشيًا مع المبنى العرفاني، يقوم الشاه آبادي بتفسير وجه الإنسان -بحسب ما يناسب فطرته الدراكة- بجهات إدراكه السبعة: وجه الحس، ووجه العقل، ووجه القلب، ووجه الروح، ووجه السر، ووجه الخفي، ووجه الأخفى.

أ) بوجه الحس يدرك محسوسات هذا العالم بإدراك حسي طبيعي يتعلق بنفس المادة. وهو الحس المقيد.

ب) وبوجه شعاع شمس روحه من الحواس الخارجة عن أسر البدن، يدرك محسوسات عالم البرزخ بإدراك خيالي رياضي يتعلق بالمقدار وآثار المادة. وهو هنا الحس المطلق.

ج) وبوجه العقل يدرك المعقولات بالبرهان، وهو العقل حال ضعفه واحتياجه إلى الفكر. وأما عند كماله فيدرك المعقولات المجردة بالعيان والشهود، وهو الكشف. فالكشف حظ العقل عند قوته وشدة نورانيته.

د) وبوجه القلب يحب نفسه وكل كمال محسوس ومعقول بالفطرة؛ ذلك أنه إذا أدرك نفسه أحبها، وأحب كمالها، وتوجه إلى تحصيل كمالاتها. وقد يدرك الكمالات المحسوسة ويحبها فينتكس. وقد يدرك كمالاتها المعقولة الفطرية فيرتفع بالمعرفة، والعبودية، والمعدلة (وهي التي يجمعها الدين)، ويرتقي ويصرف حبه إلى من لا يقف حبه عند حد. وحينئذ يكون قد نظر إلى فطرته وكمالاتها، فوصل إلى حقيقتها ومولاها.

هـ) وبوجه الروح يشاهد المحبوب الظاهر، بعين يقينه، فينتقل من استكشاف الظاهر بواسطة ظهوراته، إلى مشاهدة الظاهر بعين اليقين، الذي هو عشق القلب.

و) وبوجه السر تتجلى فيه في أسماء الحق وصفاته.

ز) بوجهه الخفي تتجلى فيه أسمائه الكلية المطلقة.

ح) بوجهه الأخفى يفنى حتى عن فنائه.

فالإنسان متعطش بطبيعته الفطرية، لا يرتوي إلا بمعرفة حقائق عالم المادة والغيب. وهذا ناشئ من دوافع فطرية داخلية يعبر عنها عادة بحب المعرفة والاستطلاع. فالإنسان أبدًا في طلب الكمال والحق.

٣. معرفة الإنسان دينه (أصالة التدين)

الدين هو الالتزام بمعرفة الحقائق. وهو من اقتضاءات الفطرة التي تتطلب، أولًا، معرفة الحقائق ومبدئها ومعادها، وتتطلب، ثانيًا، الخضوع للكامل من خلال العبودية، وتتطلب، ثالثًا، العدل. الإنسان يثق تمامًا بأن هذه الدوافع والميول الداخلية لا تتطلب سوى ما هو حق وخير، بل هو يعيش هذه الدوافع تلقائيًّا، ولا يتردد فيما تتطلبه، ولذلك يلتزم بكل ما تتعلق به تلك الدوافع والميول. وعليه، يمكن تفسير الالتزامات التي يتطلبها الإنسان بفطرته (بما هو إنسان) في أمور:

أ) الالتزام بمعرفة الحقائق ومبدئها ومعادها: بحيث يعشقها ولا يرضى لنفسه الجهل بشيء منها أصلًا. ويشير الشاه آبادي بذلك إلى الفضول العلمي، الذي يدفع الإنسان من الأعماق للكشف عن مبدئه، ومصيره، وطريق كماله، بحيث يندفع في طلبها من قلق داخلي عميق لا يستكين عن طلب الإشباع إلّا متى ما توفرت له المعرفة بها بالنحو المطلوب له.

ب) الالتزام بالخضوع للكامل، وهي العبودية: ويدل على ذلك:

أبواب الاحترامات الفطرية، والتي يفصح عنها الشيخ بوجوه من الاحترامات: كاحترام الحاضر، واحترام المنعم، واحترام المقتدر، واحترام الكامل، واحترام المحبوب. وأبواب التواضعات للكامل، علمًا، وصنعة، ومالًا، وحشمة، وعشيرة. وأبواب المحبة واختلافها، فإنها من جهة الكمال واختلافه. وأبواب الأجور لأرباب الصنائع. وأبواب المثوبة والعقوبة. وأبواب الانتظامات في كل أساس؛ فإنما هي لكمالها. فالكل ينشأ من فطرة الالتزام بالتواضع.

يشير الشيخ الشاه آبادي بذلك إلى أمرين:

الأمر الأول: الطبيعة الأخلاقية للإنسان (الاحترامات الفطرية) والتي تدعو إلى قيم معينة في التعامل، يقوم بها الإنسان بدافع فطري تلقائي، من قبيل احترام الحاضر، والمنعم، والكامل.

والأمر الثاني: الطبيعة الاجتماعية للإنسان (التواضع للكامل)، والتي تتمثل في التعاون والعمران المدني من جهة احتياج الكل للكل في تحصيل الكمالات. فالإنسان مدني بالطبع، وهو مفطور على التعاون، بل على الرجوع إلى الكامل والاستمداد منه في الاختصاصات التي لا يحيط بها علمًا. وهذا الحكم فطري، يتبعه العقلاء دومًا، ولا يختص بإنسان دون آخر.

ج. الالتزام بالمعدلة: يستحسن الإنسان العدل ويستقبح الظلم بفطرته، حتى إن الظالم يهيج حس الانتقام عنده بعد ملاحظة عدم قيام الناس بحقوقه من الانصياع والطاعة. وهذا ناشئ من اعتقاده والتزامه بالعدل والاستقامة. وهذه الالتزامات تعبر عن أصالة التدين في الطبيعة الإنسانية، والأديان السماوية تنبني على الالتزام والميثاق الفطري. وتتجلى هنا محورية الطبيعة الإنسانية في موضوع الوحي والنبوة؛ إذ الكتب السماوية شرح لهذا الكتاب التكويني، والأنبياء شرّاح كتاب ذاتنا. حتى إن القرآن الكريم جاء بيانًا لتلك المقاصد الثلاثة: علم جميع الحقائق، وبيان لزوم الخضوع وكيفيته، وبيان الحدود والحقوق والمعدلة والأمر بها. فهو علم تام، وعبودية كاملة، ومعدلة جامعة. والفطرة إنما تقضي بوجوب المعرفة، والخضوع، والعدل، بقول مطلق، من غير تخصيص بمعرفة دون غيرها أو خضوع دون غيره، أو عدل دون غيره، وإن كان مقصودها بالذات هو الثابتات، لا الحادثات الموصلة إليها. وهذه الاقتضاءات الفطرية هي الدين الفطري، الذي لا يخلو منه أحد من الناس. فالإنسان متدين بالذات. وحيث إن صحة حياة الإنسان تقوم على العدالة، والعبودية (اتباع الكامل)، والمعرفة، فهذه الاقتضاءات الفطرية لها مدخلية تامة في تصحيح الحياة الإنسانية،كما أنها تمام ملاك حياة الآخرة. وهذه الاقتضاءات هي التي يقوم عليها الدين.

فيتضح أن الكمال المصحح للحياة الإنسانية في جميع العوالم منحصر بإقامة الدين.

٤. معرفة الإنسان إقامته (أصالة العدل، والعبودية، والمعرفة)

يتحقق الالتزام بمعرفة الحقائق (الدين)، وذلك من خلال تحري العدل في عمله (الحس)، والتخلق بالأخلاق الحسنة (القلب)، والتحقق بالمعرفة الحقة (العقل)، وينبع هذا النشاط من أن المعرفة ليست علمًا فحسب، بل هي علم وعمل؛ بهما يتحقق مفهوم الإقامة، وهما نابعان بدورهما من دوافع فطرية مغروزة في جِبِلّة الإنسان. وعليه، أصول وجوه الإنسان وكيفية إقامتها إلى الدين ثلاث:

أ) وجه الحس: إقامة وجه الحس إلى الدين لا بدّ أن يكون إلى المعدلة والأعمال الصالحة. وأما كيفية إقامته، فلا بدّ من معرفة الحقوق والحدود وأربابهما من الحق والخلق، وذلك يتوقف على النظر إلى علم الفقه وأصوله للمجتهدين، وإلى فتاويهم للمقلدين، وإلى الاحتياط للمتوقفين. فلا بدّ في تنظيم وجه الحس وتعديله بترك المفاسد وارتكاب المصالح من الرجوع إلى الفطريات الخمس:

١. احترام الحاضر فطري، وحيث إن العاصي هتك حضور الرب بعصيانه، فيؤاخذه ربه يوم القيامة بفطرته، فيقال: هل لم أكن حاضرًا فخالفتني، أو لم يكن حضور الحاضر محترمًا في فطرتك، أو كنت مستثنى من هذه الحكومة الفطرية؟ والكل ممنوع بفطرتك.

احترام المنعم فطري، فيؤاخذك المنعم: هل لم أكن منعمًا، أو لا يجب احترامه، أو كنت خارجًا من ذلك؟

٣. احترام المقتدر فطري، فيؤاخذك: هل لم أكن عظيمًا مقتدرًا، أو لا يجب احترام العظيم والمقتدر عندك، أو كنت غير مشمول بهذا الحكم؟

احترام الكامل فطري، فلو احتج عليك يوم القيامة: هل لم أكن كاملًا، أو لم يجب احترامه عندك، أو كنت من المخرجين؟ فأي جواب هيأت؟

٥. احترام المحبوب فطري، فلو قال الله لك يوم القيامة: ألم أكن محبوبًا؟ أو لم يجب احترام المحبوب؟ أو الحكم مخصوص بغيري؟

فالعدالة تقوم على فطرة الاحترام، والاحترام موقف نابع من دخيلة الإنسان إزاء كل مظهر من مظاهر الحضور، أو النعمة، أو القدرة، أو الكمال، أو الحب.

والأسئلة التي يطرحها الشاه آبادي على لسان المولى سبحانه تعطي دلالتها السياقية بامتياز، فعلى مستوى الحضور:

١. فطرية احترام الحاضركأصل ارتكازي: "هل لم أكن حاضرًا فخالفتني!".

٢. الإيمان بهذا الأصل هو نفسه إيمان فطري: "أو لم يكن حضور الحاضر محترمًا في فطرتك!".

٣. الإيمان بأنه لا استثناء في الفطرة متى توفرت شروطها، فإن الاحترام ملازم للحضور، ومتى انقطع الحضور انقطع الاحترام، وفطرة الإنسان تأبى عليه أن يرتكب الموبقات المعيبة بوجود الحاضر، فكيف لو كان هذا الحاضر يمتلك كل الحضور: "أو كنت مستثنى من هذه الحكومة الفطرية!".

وأسئلة الفطرة هذه سوف تتكرر مع سائر المطالب التي تكون مخالفة لمقتضى النعمة، والقدرة، والكمال، والحب؛ إذ "الكل ممنوع بفطرتك".

ب) وجه القلب: إقامة وجه القلب إلى الدين لا بدّ أن يكون إلى العبودية، وهي الخضوع للربوبية، والتخلق بالأخلاق الحسنة. وأما كيفية إقامته، فلا بدّ من معرفة الفضائل والرذائل من الصفات، فيعبده بالصبر وترك الجزع ونحوها. فالصبر لغيرها لا يكون كمالًا. وإقامة وجه القلب - الذي به يحب نفسه وكمال نفسه - إلى الدين، وهو هنا العبودية، بمعنى أن روح شتات الأعمال والصفات هي العبودية، فيصلي ويصوم لله، ويصبر ويحلم لله، وبالجملة، المطلوب إرجاع الكثرات إلى الوحدة، واتصاف القلب بصفة العبودية هو المقصود من كثرات الأعمال والأوراد، وهكذا الصفات حتى يكون الحال سرمدًا، ولا يحصل إلا بإرجاع الصفات إلى الحق وعبوديته. فلا بدّ من تزيين القلب بالعبودية حتى يصير موردًا للتجليات الأسمائية والصفاتية، وتزيين القلب بها موقوف على التوجه وإحضار القلب لذلك، والتوجه والإحضار موقوفان على تعلق القلب به، والتعلق موقوف على اهتمام القلب به، والاهتمام موقوف على تذكر القلب بالآثار المحبوبة، وتذكره بها موقوف على العلم بالآثار، والعلم بها موقوف على الأخذ من مبدأ الوحي والنبوة.

ج) وجه العقل: إقامة وجه العقل إلى الدين لا بدّ أن يكون إلى المعرفة. وأما كيفية إقامته، فلا بدّ من التوسل بقراءة كتاب الفطرة ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾. وإذا راجعنا الفطرة لوجدناها عاشقة للكمال، بل الخير مطلقًا، بحيث لو أحاط بما في الأرض واحتمل وجودها في كرة القمر لتمناها. أو أحاط بما في الملك واحتمل وجود ما هو أكمل منها في الملكوت لتمناها. ويترتب على ذلك أمور:

١. كل ما وجدناه فليس بمعشوقنا، لأن تمام مقصود العاشق السكون حال الوصال، وحيث تجاوز عنه ينكشف عدم كونه معشوقًا له.

٢. لا نهاية لعشقه؛ لتجاوزه عن الجمال إلى ما هو أجمل، ومن الكمال إلى ما هو أكمل.

٣. عدم فتور الفطرة، ولو كان سالكًا جميع المسالك، وأتعب نفسه وألقاها في المهالك.

وإذا عرفت وجود العشق المطلق بالفعل في ذاتك وفطرتك، بحيث لا يتفاوت فيه أحد، والعشق من الصفات الإضافية يقتضي معشوقًا - كما كنت عاشقًا- بالفعل، فلتحكم بوجود معشوق الفطرة في دار التحقق.

٥. لماذا يجب إقامة الوجه إلى الدين؟

إن النفس تحب ذاتها وكمالاتها بالفطرة. والإنسان بما هو إنسان عاشق لنفسه، ولحياته، ولما تصح به حياته بما هو إنسان، وليس هو إلا كماله علمًا وعملًا. فكل ما يصح به حياته بما هو إنسان فهو كماله، وما لا مدخلية له في صحة حياته بما هو إنسان فليس بكماله. ولذا لا يكون علم المقامرة وعملها كمالًا، لعدم كونها مصححة لحياته بما هو إنسان - وإن كانت قد تصحح حياته بما هو حيوان. والمدار في صحة الحياة بما هو إنسان أن لا يكون مزاحمًا لجهاته الأخرى، ولا لصحة حياة الآخر، فإن صحة حياة الإنسان بما هو إنسان اجتماعي مدني ملازمة للحياة الاجتماعية.

ويختلف الكمال المصحح للحياة الإنسانية بحسب الأزمنة، وبحسب العوالم. وكل كمال يسع دائرة تصحيحه الحياة الإنسانية من الملك، والبرزخ، والملكوت، والجبروت، فهو أقوى الكمالات وأعظمها. بخلاف الكمالات التي تختص بالملك دون غيره، كامتهان الخياطة ونحوها من الصنائع.

أما الكمال الديني - ومن شعبه المعدلة - فتصحح الحياة الإنسانية، كما إذا قايست العبودية -وحقيقتها الخضوع للكامل بقول مطلق- إلى الحياة الإنسانية لوجدتها تامة المدخلية في صحتها. وإذا نظرت إلى المعرفة والعلم بالحقائق لوجدتها تامة المدخلية لصحة الحياة. ولا يمكن الحياة إلا بالعلم والعمل، غاية الأمر أن الجاهل يعيش تحت ظل العالم. فإذا نظرت إلى المعرفة، والعبودية، والمعدلة، وقايستها إلى عالم البرزخ والعوالم الأخر، لوجدت أنها تمام ملاك حياة تلك العوالم، وإن كان كمال المعدلة ظهورها في البرزخ أقوى، والعبودية والصفات الحسنة ظهورها في الملكوت أقوى، والمعرفة ظهورها في الجبروت أقوى. وإذ قد تحققت انحصار الكمال المصحح للحياة الإنسانية في جميع العوالم بالدين، عرفت حكمة إيجاب إقامة وجهك إلى الدين. وعلى هذا الأصل ينبني الوحي،فما يتضمنه الوحي من تكاليف الرشد الأفعالي، ووصايا الكمال الصفاتي، يجد الإنسان صداه في عمق الذات.وما جاء الدين إلا لإيقاظ تلك الفطرة فيه.

٦. معرفة الإنسان حنافته (أصالة التوحيد)

الحنافة هي الإعراض عما يخالف الحقيقة. والفطرة تلزم الحنافة فتمتنع عن التوجه إلى الشيئين، لعدم الوجهين. وهي بذاتها صادقة ومخلصة في ميلها وولائها، لا تعرف النفاق والخداع، لذلك هي أحادية الاتجاه، تأبى عن التوجه إلى شيء إلا بعد الإعراض عن الغير، فلا تتعلق إلا بالواحد. غير أن النفس لوقوعها بين عالمي الغيب والطبيعة، وتربيها في حضن الطبيعة زمنًا طويلًا، يحصل لها الأنس بها بحيث تغفل عن الغيب، وتسلم مفاتيح ذاتها وأناها إلى الطبيعة. فالإنسان يتعلق بما هو زائل ويعشقه، ويستبد به، ويبني قناعاته على أساس المنافع المؤقتة، ويبحث عن راحته في الفانية، ويسعى إلى التسلط فيها، كل هذا بحكم الطبيعة وليس بحكم الفطرة. والحال أنه ينبغي أن يُعرض عن الطبيعة في ذاتها (الحنافة) ولا يقبل منها إلا ما كان واسطة لحصول كمالاته بما هو إنسان.

فيتطلب مفهوم الحنافة النظر إلى الجسد كمظهر لحقيقة النفس، وواسطة اكتمال النفس. وهذه الواسطية تعني أكثر من مجرد كون الجسد وسيلة، إنه المجال الفعلي، الذي يقيم فيه الإنسان صلة الرحم مع الطبيعة. ولكن ليس على أساسأن النفس منجزة باستقلال عن الجسد، بل على أساس أن النفس تتمظهر وتتحقق من خلال الجسد. فالجسد هو النفس في رتبة النفس، والنفس هي الجسد في رتبة الجسد.

المصدر: المعارف الحكمية

مقالة/ الجزء الثاني

الخطابُ الديني والوظيفة الاجتماعية

الشيخ حسن الصفار

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

مدى مسؤولية الخطاب الديني

وهنا نتساءل عن مدى مسؤولية الخطاب الديني عن هذا الواقع؟

يبدو جلياً أنّ هناك من يحمّل الخطاب الديني فوق طاقته وقدرته، فالتخلف في المجتمعات الإسلامية نتاج عدة عوامل وأسباب، سياسية واقتصادية وتعليمية واجتماعية، ولا يصح أبداً ترك كل هذه العوامل جانباً، وتحميل الخطاب الديني والمؤسسة الدينية مسؤولية الواقع الذي تعيشه هذه المجتمعات، لأن هذا الواقع انما يُعالج ضمن مسار سياسي واقتصادي واجتماعي شامل، وهذه المشاكل تحتاج إلى مؤسسات ذات قدرة وسلطة للتصدي لمعالجتها.

نعم إن الخطاب الديني يتحمل مسؤولية بحجم إمكاناته ضمن حدودٍ معينة، ولا يُمكن تحميله كل مآسي الأمة والمجتمع، لذا نجد أن الله تعالى لم يكلّف الأنبياء بتغيير مجتمعاتهم، لأن عملية التغيير تحتاج إلى استجابة الناس في مختلف مجالات الحياة، وآيات القرآن الحكيم في مواضع عديدة تؤكد أنّ الأنبياء ليسوا مسؤولين عن واقع مجتمعاتهم، إلا ضمن حدود التبليغ وتوجيه الناس الى طريق الهداية والصواب، أما التغيير الفعلي فهو رهن بمدى استجابة المجتمع وانقياده، يقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٩٢]، ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾. [سورة المائدة، الآية: ٩٩]

فانطلاقاً من الآيات الكريمة تتجلى لنا مسؤولية الخطاب الديني وهي البلاغ المبين، بإيصال التعاليم والرسالة الإلهية بوضوح للمجتمع، ودعوة الناس إلى مواجهة الانحراف والفساد في حياتهم، وإرشادهم إلى طريق الخير والصلاح، وبذلك يكون تقويم الخطاب الديني على أساس مدى تحمله لهذه المسؤولية وأدائها، أما تحميل الخطاب الديني واقع المجتمع ومآسيه ومشاكله فهذا ليس نقدًا موضوعياً.

ترشيد وتطوير الخطاب الديني

الخطاب الديني مؤثر في المجتمع، بل ليس هناك خطابٌ أكثر منه تأثيراً في نفوس المتدينين، ويمكن للخطاب الديني أن يؤدي دوراً كبيراً في نهوض مجتمعاتنا، وإنجاز التنمية في أوطاننا، لأنه يحرك الدوافع الذاتية للإنسان، ويجعله أكثر التزاما بالقيم والمبادئ، وأكثر حرصاً على العمل والعطاء، ويتوقف ذلك على مستوى هذا الخطاب وتوجهاته واهتماماته، بأن يكون في مستوى الاستجابة للتحديات والهموم التي تعيشها هذه المجتمعات، وأن يكون رشيداً، وبلغة معاصرة يفهمها ويتفاعل معها إنسان اليوم، وبذلك يستحق هذا الخطاب صفة (البلاغ المبين) حسب تعبير القرآن الكريم.

ويكون للخطاب الديني دور سلبي خطير حين يصدر من جهات متطرفة متزمتة، وقد عانت الأمّة منذ بداية تاريخها من دور هذه الجهات المغالية في الدين، وهو ما حذر منه القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٧١]، ومن هؤلاء الغلاة: الخوارج في الماضي، والجماعات المتطرفة المنتسبة للدين في الحاضر، فقد كان خطابهم مدمّراً للمجتمعات والأوطان.

وتكمن المشكلة أن بعض مَن يُنتجون الخطاب الديني يركزون على بعض النصوص الدينية، بعيداً عن المنظومة المتكاملة للدين، فتتضخم لديهم بعض الجوانب في الفكر الديني، ويفهمونها بخلاف حقيقتها وخارج سياقها، ويركزون عليها، متغافلين عن الجوانب الأخرى في الدين، لذلك ورد عن النبي : «لَيْسَ يَقُومُ بِدِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ»، وعنه : «إِنَّ دينَ اللهِ تَعالى لَن يَنصُرَهُ إلّا مَن حاطَهُ مِن جَميعِ جَوانِبِهِ».

فتجد مثلًا من يهتم بموضوع الآخرة مركزاً عليه اهتمامه، وفي كلّ مجلسٍ يتحدث عن الموت والقبر والحساب والصراط، دون التطرّق لأمور الدنيا التي يوليها الدين اهتماماً موازيًا، يقول تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [سورة القصص، الآية:٧٧]

وورد عن الإمام موسى الكاظم: «اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَداً، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَداً».

وحين نتحدث عن حقوق الله على العباد، ينبغي ألا نغفل حقوق الناس لأنها من الدين أيضاً، فهذا أمير المؤمنين علي يقول: «جَعَلَ اَللَّهُ سُبْحَانَهُ حُقُوقَ عِبَادِهِ مُقَدِّمَةً لِحُقُوقِهِ، فَمَنْ قَامَ بِحُقُوقِ عَبَادِ اَللَّهِ كَانَ ذَلِكَ مُؤَدِّياً إِلَى اَلْقِيَامِ بِحُقُوقِ اَللَّهِ».

إن ديننا الحنيف شاملٌ لكلّ مناحي الحياة بتوازن واعتدال، كما أكد على التوحيد لله تعالى أكدّ على حرية الإنسان، وحين فرض الجهاد وضع أساس السلم والسلام، وحين حثَّ على التبري من أعداءِ الله وأعداء رسوله، وأعداء أهل البيت، حثَّ على حفظ وحدة الأمة، وعلى التقيّة والمداراة، والتعامل بعدل وإحسان مع الآخرين، وكما أكدَّ على الاهتمام بالآخرة فقد أكد على إصلاح شؤون الدنيا.

لذا ينبغي على الخطاب الديني التركيز على المواضيع التي ترتقي بحياة الناس، ومن ذلك التركيز على طلب العلم والمعرفة، فأول ما نزل من القرآن ليس الأمر بالصلاة أو الصوم أو الحج، بل الأمر بالمعرفة، في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق، الآية:١]، فالمعرفة هي الأساس ويجب التركيز عليها قبل التركيز على العبادة.

ونسوق هنا مثالًا: ما نقله الشيخ عباس القمي في كتابه (مفاتيح الجنان) عن أفضلية التفكير وطلب العلم في ليلة القدر على سائر الأعمال العبادية المستحبة، وينقل ذلك عن الشيخ الصَدُوق ففي آخر حديثه عن الصلوات والأدعية الواردة في أعمال ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان وهي الليلة الثانية من ليالي القدر، يقول: "وقد قال شيخنا الصَدُوق إن إحياء هاتين الليلتين - واحد وعشرين وثلاثة وعشرين- بمذاكرة العلم أفضل من كل ذلك".

ومثالٌ آخر: ما جاء في الحديث عن صلاة ليلة الدفن في العروة الوثقى حيث نقل الحديث المروي عن رسول الله: «لا يأتي على الميت أشدّ من أول ليلة فارحموا موتاكم بالصدقة، فإن لم تجدوا فليصل أحدكم يقرأ في الأولى الحمد وآية الكرسي، وفي الثانية الحمد والقدر عشرًا»، ثم عقّب السيد اليزدي بقوله: (ومقتضى هذه الرواية أن الصلاة بعد عدم وجدان ما يتصدق به)، والشاهد هنا أولوية العطاء والصدقة، والاهتمام بحاجات الناس.

ومهم جدًّا التركيز على هذه التوجهات، وعلى النخب في المجتمع أن تساعد في ترشيد وتطوير الخطاب الديني، وعلى الجمهور التفاعل مع الخطاب التوعوي التنويري.

وفي بعض الأحيان لا يميل مزاج الجمهور إلى الخطاب الإصلاحي التغييري، ويراه ثقيلًا عليه، لتذكيره بالمسؤوليات الاجتماعية، فيبحث هذا الجمهور عن خطاب يدغدغ عواطفه، ويسلّيه بقصص التاريخ الماضي، لكن في المقابل تفيدنا التجارب المعاصرة أن مِن العلماء مَن استطاعوا بخطابهم الديني الواعي أن يغيروا حياة مجتمعاتهم، وأن يوجهوهم للاهتمام بطلب العلم والمعرفة، ومضاعفة الفاعلية والانجاز، والسير في طريق التنمية والتقدم.

اتجاه طقوسي

يتعاطى البعض مع الخطاب الديني كطقس و(بروتوكول) في المناسبات الدينية.

والطقس الديني: مصطلح يطلق عند غير المسلمين على أفعال العبادة التي يؤديها أعضاء جماعة دينية.

ولمعظم الأديان طقوسها الدينية الخاصة بها.

(والطقوس هي مجموعة من الإجراءات التي يؤديها بعض الأشخاص، والتي تُقام أساسًا لقيمتها الرمزية، وقد يحدد تلك الطقوس أو المراسم تراث الجماعة المشتركة، وتعتبر المراسم والطقوس بأنواعها المختلفة أحد سمات المجتمعات الإنسانية، سواء في الماضي أو الحاضر، وتشمل إلى جانب طقوس العبادة مختلف العادات والتقاليد الاجتماعية، كقسم الولاء ومراسم التتويج، ومراسم الزواج والجنازات، وتقاليد الدراسة والتخرج، والاجتماعات، والأحداث الرياضية).

وهناك رأي فقهي يظهر منه تبني ما يقارب هذا الاتجاه الطقوسي بعنوان (التعبدية في توجيه الخطاب الديني)، حتى وإن لم يكن له فائدة للمستمعين، كما إذا كان بغير لغتهم، حيث ناقش الفقهاء من السنة والشيعة شرط العربية في خطبتي صلاة الجمعة، (فذهب جمهور فقهاء السنة إلى اشتراط كون خطبة الجمعة بالعربية تعبدًا للاتباع، ولأنها ذكر مفروض، فاشترط فيه ذلك، كتكبيرة الإحرام ولو كان الجماعة عجماً لا يعرفون العربية).

كما ذهب مشهور فقهاء الشيعة أيضاً إلى اعتبار العربية في خطبتي الجمعة.

ومنع أكثرهم إجراء الخطبة بغير العربية للتأسي.

وفرّق صاحب الجواهر بين الحمد والصلاة وبين الوعظ، ففيه يجوز بغيرها اختيارًا، بخلاف الحمد والصلاة فلا يجوز بغيرها؛ لظهور الأدلة في إرادة اللفظ فيها، والمعنى في الوعظ، وإن كان الواقع منه عليه السلام العربية في الوعظ أيضاً، لكن لعله لأنه عليه السلام عربي يتكلم بلسانه لا لوجوبه.

ويرى الشيخ يوسف البحراني لزوم العربية في خطبة الجمعة، وإن لم يفهمها المستمعون، لأنها عبادة توقيفية، قال في (الحدائق الناضرة): يمكن أن يقال إن

يقين البراءة موقوف على ذلك وأنها عبادة والعبادات توقيفية يتبع فيها ما رسمه صاحب الشريعة، وهذا هو الذي جاء عنهم عليهم السلام.

والتعليل بأن المقصود من الخطبة فهم العدد لمعانيها مع تسليم وروده، لا يقتضي كونه كليًا، فإن علل الشرع ليست عللًا حقيقة يدور المعلول مدارها وجودًا وعدمًا، وإنما هي معرفات وتقريبات إلى الأذهان. على أن البلدان التي فتحت من العجم والروم ونحوهما وعينت فيها الأئمة للجمعات والجماعات لم ينقل أنهم كانوا يترجمون لهم الخطب، ولو وقع لنقل، ومنه زمان خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، وكيف كان فالأحوط الخطبة بالعربية وترجمة بعض الموارد التي يتوقف عليها المقصود من الخطبة.

الطقوسية والمضمون

وهناك حديث عن مضمون الخطبة فإن البعض يقرأ خطبته من كتب خطب الجمعة القديمة.

ذكر أحد الكتاب السوريين في مقال له ما يلي: وفي بلدتي التي عشت فيها طفولتي، كان الإمام يخطب من كتاب (ابن أبي نباتة) من أيام السلطان قلاوون (المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي. توفي سنة ٦٨٩هـ). وهناك ٥٢ خطبة على مدار السنة، وحسب المواسم، وكنا صياماً فتحدث عن الحج، ثم انتبه إلى أنه بدل المواسم، فبدأ يقلب على عجل عن الخطبة المناسبة، بعد أن ضل طريقه إليها.

ونجد مثل هذه الطريقة عند البعض في إحياء المناسبات المرتبطة بأهل البيت، فالمطلوب أن يكون الخطاب بنفس الصيغة والأسلوب والطريقة المتوارثة، وأي تطوير أو تغيير فهو تحريف للغرض وتمييع لهوية المناسبة.

فالمطلوب في موسم عاشوراء مثلاً هو السيرة فقط، وضمن رواية معينة، وقد قرأنا بعض الكتابات التي تعترض على طرح مواضيع ثقافية واجتماعية في موسم عاشوراء، وترى أن ذلك مشروع واضح المعالم في الحرب على الشعائر، لا مبرر للمشاركة فيه ولا دعمه ولا إضفاء الشرعية عليه، وأن محرم موسم عزاء لا موسم ثقافة.

وكأن هؤلاء أحرص على المناسبة والولاء لأهل البيت من الأئمة أنفسهم، الذين يؤكدون أن إحياء (أمرهم) هو ببث علومهم، كما ورد عن عبد السّلام بن صالح الهرويّ قال: سَمِعتُ أبَا الحَسَنِ الرِّضا عليه السلام يَقولُ: «رَحِمَ اللهُ عَبدا أحيا أمرَنا!» فَقُلتُ لَهُ: فَكَيفَ يُحيي أمرَكُم؟

قالَ: «يَتَعَلَّمُ عُلومَنا ويُعَلِّمُهَا النّاسَ؛ فَإِنَّ النّاسَ لَو عَلِموا مَحاسِنَ كَلامِنا لَاتَّبَعونا».

أما الاستشهاد بالروايات التي تتحدث عن بعض مشاهد العزاء عند الأئمة كخبر أبي هارون المكفوف قال: قال لي أبو عبد الله: «أنشدني في الحسين عليه السلام» فأنشدته.

قال: «أنشدني كما تنشدون»، يعني بالرقّة، فأنشدته:

أُمْرُرْ عَلَىٰ جَدَثِ الحُسَيْنِ ... وَقُلْ لِأَعْظُمِهِ الزَّكِيَّةْ

فهو يفيد أمرًا جوهريًا هو مواجهة التعتيم على مظلومية أهل البيت بذكرها وتداولها، ولكن ذلك لا يقيدها بأسلوب معين، ولا يحصرها في هذ الدائرة فقط.

حين تكون الخطابة مهنة:

لأن خطيب المناسبات الدينية في مجتمعاتنا الشيعية لا يعتمد على جهة في تامين نفقات حياته وحاجات أسرته، فقد جرى العرف أن تقدم له مكافأة في مقابل خطاباته وقراءاته. وذلك أمر طبيعي ومشروع، لا إشكال فيه من الناحية الشرعية.

روى حمزة بن حمران: سَمِعتُ أبا عبد الله (جعفر الصادق) عليه السلام يقولُ: «مَنِ استَأكَلَ بِعِلمِهِ افتَقَرَ»، قُلتُ: إنَّ في شيعَتِكَ ومَواليكَ قَومًا يَتَحَمَّلونَ عُلومَكُم، ويَبُثّونَها في شيعَتِكُم، فلا يُعدَمونَ مِنهُمُ البِرَّ والصِّلَةَ والإكرامَ، فقالَ عليه السلام: لَيسَ أُولئكَ بِمُستَأكِلينَ، إنَّما ذاكَ الّذي يُفتي بِغَيرِ عِلمٍ ولا هُدىً مِنَ اللهِ؛ لِيُبطِلَ بِهِ الحُقوقَ طَمَعًا في حُطامِ الدّنيا.

فالمستأكل بعلمه هو الذي يجير علمه لمصلحة من يطلب منه الخطاب، فيخالف الحق طلبًا للمال، وهو امر مذموم منهي عنه شرعًا.

أما أن يكون الانسان مرشداً وموجّهاً، يحمل علوم أهل البيت إلى الناس، فيحصل على مكافأة مالية مقابل ذلك، فلا ضير ولا إشكال فيه.

وقد ورد أن بعض الأئمة كافؤوا الشعراء على مديحهم، فقد مدح الفرزدق الامام علي بن الحسين زين العابدين بقصيدته المعروفة:

هَذَا الذي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ... وَالبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق . بعسفان بين مكة والمدينة . وأنفذ له الإمام اثني عشر ألف درهمًا فردها وقال: أنا مدحته لله تعالى لا للعطاء، فقال : «إنّا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده»، فقبلها.

لكن المشكلة ان تصبح المكافأة محورًا في دور الخطيب، وعاملاً مؤثرًا في توجيه خطابته، فيقول ما ليس مقتنعا به كسبًا للمال، حينئذٍ ينطبق عليه ما ورد سابقًا عن الإمام الصادق: «يُفتي بِغَيرِ عِلمٍ ولا هُدىً مِنَ اللهِ عَزَّ وجلَّ؛ لِيُبطِلَ بِهِ الحُقوقَ طَمَعا في حُطامِ الدّنيا».

الرسالة الاجتماعية

الرسالة التي يحملها الخطاب الديني للمجتمع هي رسالة الدين، ولها بعدان أساسان:

الأول: تذكير الناس بالله خالقهم وربهم، والذي إليه مصيرهم، وأن عليهم طاعته وعبادته، والتطلع إلى رضاه، وما يرتبط بهذا البعد من قضايا عقدية وعبادية ووعظية، وكذلك تعزيز الولاء والمحبة للنبي وآله الكرام بذكر سيرتهم العطرة، وما قدموا من تضحيات، وتحملوا من آلام في حماية الدين وخدمة مصالح الأمة.

الثاني: إرشاد الناس لحسن الإدارة والتدبير في حياتهم المعيشية والاجتماعية.

فالدين ليس مشروعاً للخلاص في الآخرة فقط، بل هو . إلى جانب ذلك . مشروع للحياة الأفضل في الدنيا، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢٤].

ويقول تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٠١].

ولعل من أهم أولويات رسالة الدين في الحياة الاجتماعية التي يجب أن يؤكد عليها الخطاب الديني هو تعزيز القيم الأخلاقية في التعامل الاجتماعي. حيث يؤكد القرآن الكريم أن هدف بعثة الأنبياء وإنزال الشرائع الإلهية، هو إقامة العدل بين البشر، وتبادل الإحسان فيما بينهم، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد، الآية: ٢٥].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل، الآية ٩٠].

كما يحدد النبي مهمة رسالته الأساس بالارتقاء بمستوى الالتزام الأخلاقي في المجتمع الإنساني، حيث ورد عنه : «إِنَّما بُعِثتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ»، من هذا المنطلق فإن الخطاب الديني يجب أن يركّز على موضوع التعامل بين الناس، والتزام القيم الأخلاقية في الحياة الأسرية والعلاقات الاجتماعية.

وهذا ما يمكن استنتاجه من قوله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٤].

ويؤكد الإمام علي ما سمعه من رسول الله من أن الاهتمام بإصلاح العلاقات بين الناس هو خير من سائر العبادات، قال في وصيته للحسن والحسين: (أُوصِيكُمَا وجَمِيعَ وَلَدِي وأَهْلِي ومَنْ بَلَغَه كِتَابِي - بِتَقْوَى اللَّه ونَظْمِ أَمْرِكُمْ وصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ - فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا يَقُولُ - صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ والصِّيَامِ).

إن إغفال الخطاب الديني موضوع حقوق الناس، يؤدي إلى وجود أشخاص متدينين يهتمون بأمور الصلاة والوضوء إلى حد الهوس، لكنهم يتهاونون بحقوق الآخرين ضمن حياتهم العائلية والاجتماعية، وذلك خلاف رسالة الدين.

وكما ورد أنه قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ : امْرَأَةٌ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «لاَ خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ».

والأمر الآخر الذي يجب التركيز عليه في الخطاب الديني هو الاهتمام بجودة الحياة وتحسين مستوى المعيشة.

حيث يبدو من النصوص والتعاليم الدينية، أن الدين لا يريد للإنسان أن يعيش في أدنى مستوى للحياة، بل يريد له العيش في المستوى الأفضل والأرقى، بخلاف النظرة التي يتداولها البعض، بتفسير بعض المفاهيم الأخلاقية كالزهد، والقناعة، والرضا، بأنها تعني تجنب الاستمتاع بالحياة، وإهمال الاستفادة من خيراتها!

وبسبب هذه النظرة ترى أن بعض المتدينين يعيشون حياة الفقر والتخلف والفوضى!!

فإذا ذهبت إلى بلد فيه مسلمون وغير مسلمين، قد تجد أن حياة غيرهم أكثر ترتيباً وتقدمًا من حياتهم.

إن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل، الآية:٩٧]، فأين الحياة الطيبة في واقع كثير من مجتمعاتنا؟

لقد أصبح مفهوم جودة الحياة مفهوماً واسعاً، له مؤشرات شاملة معتمدة عالمياً، كمراجع أساسية: منها (التصنيف العالمي لقابلية العيش)، وهو مؤشر سنوي، يصنف المدن في ١٤٠ دولة، حسب جودة الحياة فيها، بناءً على تقييم الاستقرار والرعاية الصحية والثقافة والبيئة والتعليم والرياضة والبنية التحتية.

ومنها (مؤشر السعادة العالمي) الذي وضع سنة ٢٠١٧م، والذي يصنف ١٥٥ دولة، وفقًا لمستويات السعادة، وذلك بناءً على الجوانب الآتية: الفساد وحرية الاختيار، ومتوسط العمر المتوقع، وإجمالي الناتج المحلي للفرد، والدعم الاجتماعي، والعطاء.

إن جودة الحياة مقصد ديني تدعو له النصوص الدينية، يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة الأعراف، الآيتان: ٣١-٣٢].

يريد الله تعالى للإنسان المؤمن أن يستمتع بحياته، ويعيش الرفاهية، ويبدو من الآيات القرآنية أن الأصل في المؤمن أن يكون ثرياً، فحين تتحدث عن الصلاة غالبًا ما تردفها بالزكاة.

مثل: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٧٧]، ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [سورة الحج، الآية: ٧٨]، ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٥٥].

وذلك يعني أن الأصل في المؤمن أن يكون غنيًا؛ لأن الزكاة ليست واجبة على الفقراء.

وفي نص ورد عن الإمام علي في نهج البلاغة، يؤكد أن حياة المتدينين المتقين في سكنهم وأكلهم واستمتاعهم بالحياة هي في درجة أرقى من حياة المترفين والمتجبّرين، حيث يقول : «واعْلَمُوا عِبَادَ اللَّه - أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وآجِلِ الآخِرَةِ - فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ - ولَمْ يُشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ - سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ وأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ - فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِه الْمُتْرَفُونَ، وأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَه الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ - ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ والْمَتْجَرِ الرَّابِحِ - أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ - وتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّه غَداً فِي آخِرَتِهِمْ - لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ ولَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ».

فرسالة الدين الارتقاء بالحياة وإصلاح المجتمع، والإمام الحسين عليه السلام جعل الإصلاح عنوانًا لحركته ونهضته، ففي أول بيان صدر عنه في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية يقول : «إنّي لم أخرجْ أشِراً ولا بَطِراً، ولا مُفسِداً ولا ظَالِماً، وإنّما خَرجْتُ لِطَلَبِ الإصلاحِ في أُمّةِ جدّي وأبي، أريدُ أن آمرَ بالمعروفِ، وأنهى عن المُنكَرِ».

تتابع

المصدر: مجلة الاجتهاد والتجديد،
العددان التاسع والخمسون والستون
السنة الخامسة عشر، صيف ٢٠٢١م، ١٤٤٢هـ، وخريف ٢٠٢١م، ١٤٤٣هـ.

مقالة

مع إقتراب مئوية حوزة قم المقدسة العلمية

حول مؤسّس الحوزة العلمية في قم المقدّسة

الفقيه الشيخ عبدالكريم اليزدي الحائري قدس سره

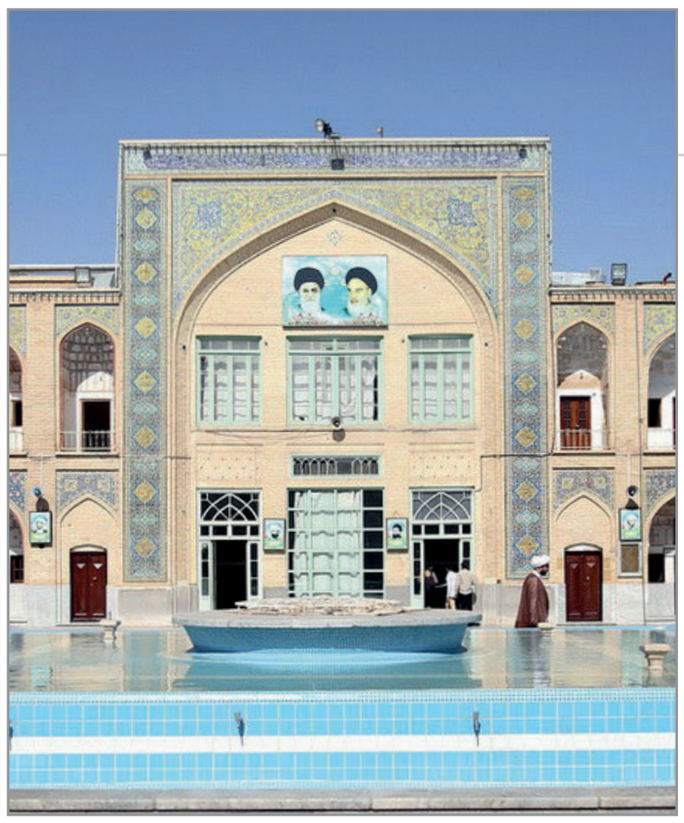

هو الشيخ عبد الكريم بن المولى محمد جعفر اليزدي الحائري القمّي، ولد في مهرجرد من قرى يزد في سنة ١٢٧٦ هجرية. وكان أبوه من الصلحاء ورجال القرية المعروفين، فوجّه ولده إلى التعليم، وما أن تعلّم القراءة والكتابة وأتقن مبادئ العلوم حتّى بعثه إلى يزد، وكان فيها عدد من العلماء المدرّسين، فقرأ عليهم العلوم العربية وسطوح الفقه والأصول، ثمّ هاجر للتكميل إلى العتبات المقدّسة في العراق وجاور سامرّاء، فأكمل السطوح على الشيخ فضل الله النوري، والميرزا إبراهيم المحلّاتي الشيرواني، وحضر على السيد المجدّد الشيرازي، والسيد محمّد الفشاركي الأصفهاني، والميرزا محمّد تقي الشيرازي، وغيرهم، فقد لازم حلقات دروسهم سنين طوالاً، وبعد وفاة المجدّد هاجر السيد الفشاركي إلى النجف الأشرف فصحبه الشيخ عبد الكريم وظلّ ملازماً لدروسه إلى أن توفّي في سنة ١٣١٦، فلازم درس الشيخ محمّد كاظم الخراساني وكان من أجلّاء تلاميذه وبارزي حوزة درسه، وهبط كربلاء قبل وفاة الخراساني، فالتفّ حوله عدد من الطلاب فاشتغل بالتدريس والإفادة، وكان الميرزا محمد تقي الشيرازي يبجّله ويشير إليه ويعترف بفضله ومكانته، حتّى أنّه أرجع احتياطاته إليه، فلفت ذلك إليه الأنظار وأحلّه مكانة سامية في النفوس.

في سدّة المرجعية

في أوائل سنة ١٣٣٣ هجرية سافر الشيخ عبد الكريم إلى إيران لزيارة مشهد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، وتلقّى دعوة من بعض وجوه «آراك» للإقامة عندهم، فهبط مدينة «سلطان آباد» مركز عراق العجم، وكان هناك بعض أهل العلم فعنيَ بتدريسهم وتنمية مواهبهم، وكان أن ازداد عددهم وبلغ نحو ثلاثمائة طالب علم، وأقبل الطلاب عليه، وأصبحت المدينة مركز ثقافة وعلم على بساطتها. ولما انتقل إلى رحمة الله مراجع الشيعة في التقليد في تلك الآونة كالسيد محمد كاظم اليزدي، والشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، اتّجه إليه عدد من المقلّدين وحاز ثقة العامّة فضلاً عن الخاصّة، لما أسلفناه من تأييد الميرزا الشيرازي له.

وفي رجب سنة ١٣٤٠ هبط مدينة «قم» المشرّفة بدعوة من بعض رجال العلم فيها رغبة في إحياء أمرها الغابر وإعادة مجدها الداثر، فنظم من كان فيها من طلّاب العلم تنظيماً عالياً، وأعلن عن عزمه على جعلها مركزاً علمياً يكون له شأنه في خدمة الإسلام وإشادة دعائمه، وأخذت الحقوق الشرعية والهبات تتوالى عليه من البلدان الإيرانية، فوسّع العطاء على الطلاب والعلماء، وبذل عليهم بسخاء، وسنّ نظاماً للدراسة، وقرّر ترتيباً مقبولاً للإشراف على تعليم الطلاب وإجراء الامتحان السنوي، والناس يومئذ ذوو عقيدة راسخة وإيمان ثابت، واهتمام بشأن الدين ورجاله واحترام لحملَته وطلّابه، فتقاطروا إليه من كلّ حدب وصوب، وغصّت المدارس بأهِليها، وزاد عدد الطلاب والعلماء في أوائل هجرته إليها على الألف، وقام بأعباء إعاشتهم وتنظيم أمورهم بهدوء وحكمة، وقد أبدى كياسة وكفاءة، ودلّل على عقلية جبارة ونفس كبيرة وصدر رحب، ولم يكن ليكنز الأموال الطائلة من الحقوق الشرعية عنده أو تحت يده، بل ائتمن بعض أصحاب المتاجر من الصالحين، فكانت تحوّل إليه وتجتمع عنده، ويصدر الشيخ له أمره بتوزيعها من قبله على مستحقّيها وسائر المشاريع المخصّصة لها، وقد آزرته الحكومة يومئذ فقصده السلطان أحمد شاه آخر ملوك القاجاريين إلى قم مع حاشيته للتعرّف إليه وتهنئته في نجاحه في مسعاه حول تأسيس الحوزة العلمية.

ترسيخ زعامته الروحية

اتفقت بعض الوقائع والحوادث في أوائل هجرته إلى قم ساعدت على دعم شخصيّته وبناء كيانه وإبرازه إلى الوجود كزعيم روحي له وزنه ومقامه، منها ورود زعماء الدين ومراجع التقليد في النجف الأشرف يومذاك عليه وبقاؤهم عنده في قم، وذلك أنّ الشيخ مهدي الخالصي عندما نفته الحكومة العراقية سنة ١٣٤١ توجّه إلى إيران بدعوة منها، كما توجّه إليها السيد أبو الحسن الأصفهاني، والميرزا محمد حسين النائيني، والسيد علي الشهرستاني، والسيد عبد الحسين الحجّة وغيرهم من العلماء الذين وقفوا موقف الخالصي واحتجّوا على تبعيده، فنُفي البعض منهم أيضاً، واحتجّ الآخرون على نفيه فخرجوا مغضبين وتفرقوا في بلاد إيران، أمّا الأصفهاني والنائيني والشهرستاني فقد هبطوا قم وحلّوا ضيوفاً على الحائري، وكان الأوّلان يومئذ أكبر علماء النجف وأشهر مراجعها، وقد رحّب بهما الحائري كلّ الترحيب، وأنزلهما منزل العزّة والكرامة، كما عنيَ بهما الشعب الإيراني وعلى رأسه حكومته، فاستُقبلا من الحدود من قبل مختلف طبقات الشعب، وفي طليعتها العلماء والمسؤولون، وأمر الشيخ عبد الكريم رجال العلم باستقبالهم على مسافة من قم، وجاء الشاه ورجال دولته لزيارتهما، وهنا صارت دار الشيخ الحائري مهبط الأمراء وعلّية القوم والأشراف والأعيان. وفي الحقيقة كانت لهذه الزيارة فائدتها الكبيرة للحائري، فهو وإن كان عالماً شهيراً إلّا أنّ نزول هذين الزعيمين عنده ولمّا يمضِ على هبوطه قم أكثر من عام أثّر في نشر اسمه في مختلف البلاد الإيرانية والأوساط الرسمية والشعبية، وبهذا دخل بيته من لم يكن يتّفق له دخوله من قبل، وتعرّف إلى أناس من ذوي النفوذ كان تعرّفه عليهم ووصولهم إليه يتطلّب الوقت والجهد للذين هو في حاجة إلى بذلهما على مشروعه الجبّار والجامعة التي بدأ يشيّد أساسها، وهذا ما ركز مقامه ودعم زعامته، أضف إلى ذلك أنّ الضيفين الكبيرين - وهما أفضل مدرّسي النجف - قد تولّيا التدريس بدعوة منه خلال مكثهما في قم.

في مواجهة علمنة رضا بهلوي

لاقى الشيخ عبد الكريم الحائري في طريق عمله لترسيخ أركان حوزة قم والقيام بشؤون الزعامة الدينية على وجهها من الصعاب والمتاعب ما يكفي لتراجع أكبر الرجال قلباً وأقواهم شكيمة وأوسعهم صدراً، حيث كان لإنهاء حكم القاجاريين وتولّي رضا البهلوي السلطة في إيران تأثير بارز في تقليص جهوده والحدّ من نشاطه، إذ رافقت ذلك أحداث ووقائع جسام، وكانت سيرة البهلوي واضحة في عزمه الأكيد وتصميمه على القضاء على الدين ومحو كلّ أثر لرجاله وشعائره ورسومه، فقد سجن العلماء الكبار، ونفى عدداً منهم، ودسّ السمّ لآخرين، وفعل الأفاعيل من هذا القبيل، وفي هذه الظروف كان الحائري يعمل على توسيع دائرة الحوزة العلمية في قم ونشر الدعوة، ودعم هيكل الدين، وإشادة مجد الإسلام بإعمام أحكامه وتطبيق نظامه. في ذلك الوقت، وفي تلك الظروف السود قاوم هذا العالم المخلص ديكتاتورية الملك وإباحيّته ووقف في وجهه، مجنّداً كلّ إمكانياته وقابلياته، وموطّناً نفسه للعظائم ومضحّياً في سبيل دعوته بكلّ ما يملك.

وكانت هناك حوزات علمية صغيرة في خراسان وطهران، وتبريز وأصفهان، وغيرها من بلاد إيران، تمكّن الحاكمون من تفريق شملها والقضاء عليها، وبقي همّهم منصرفاً للقضاء على حوزة قم إلّا أنّ حنكة الحائري وإخوانه، وصبرهم على المكاره وتحمّلهم للصعاب قد حال دون ذلك، وهكذا نمت البذرة الصالحة في تلك التربة الطيّبة واتسعت الحوزة العلمية اتّساعاً غير منتظر، وما مضت السنوات والأعوام، إلّا وازدهرت الحياة الدينية والثقافية، وتعددت الهيئات العلمية، وإذا بالكيان الذي شادته البطولات الخارقة والهمم العالية ضخماً جبّاراً يضاهي الثريّا رفعة وشموخاً.

مكانته العلميّة

كان الشيخ عبد الكريم الحائري من الناحية العلمية أحد أفذاذ عصره، وفطاحل العلم، وأساطين الدين، ومن كبار الفقهاء وأجلّائهم، له في العلوم الإسلامية قدم راسخة وباع طويل، وقد شهدته معاهد العلم في النجف وكربلاء، واعترف بمكانه وتضلّعه كبراء المدرّسين وفحول المجتهدين، وقد مرّ رأي الميرزا الشيرازي فيه وإناطة ثقته به، إلّا أنّه بالرغم من جلالة قدره وتحقيقه ومقامه الرفيع كان بعيداً عن الادّعاء وترشيح النفس، وظلّ حتى بعد أن صار من أكبر مراجع التقليد شديدَ الاحتياط في الفتاوى، كثير التحفّظ والتروّي. وكان له إلى أواخر أيامه درسان؛ أحدهما في الفقه، وكان يُلقيه صباحاً، والآخر في الأصول ويلقيه عصراً. وكان كثير البرّ بالطلاب والعلماء، شديد العطف عليهم والعناية بهم، يرعى الصغير والكبير، وبالرغم من تعيينه لموزّعي الرواتب وتوكيله للثقات من تلامذته وأصحابه بالقيام باللوازم والاستفسار عن النواقص، إلّا أنّه كان يتولّى بعض الأمور بشخصه ويباشرها بنفسه، وكان أعدّ لهم كلّ شيء قد يحتاجون إليه، حتّى أنّه بنى مستشفى خاصّاً بالعلماء والطلاب ليشعرهم بالكيان المستقل والكرامة الموفورة التي كانوا يتمتّعون بها. وفي الوقت الذي كانت فيه الشخصيات السياسية والتجارية والأمراء والقوّاد يتهافتون على بيته للثم أنامله وعرض أنفسهم لخدمته، كان يدور على غرف طلّاب العلم بمفرده للاطّلاع على أحوالهم وأساليب معيشتهم، والوقوف على مدى عنايتهم بالدرس والمطالعة، وكان يحثّ المتساهلين ويشوقهم، ويمدح النشّاط، ويمنح المتفوّقين في الامتحان جوائز قيّمة، وكان يوصي الكلّ بالإخلاص في العمل والالتزام بتقوى الله تعالى، ولم يُسمع عنه رغم كثرة من كان يعيل به من الطلّاب أنّه ردّ طالباً أو كسر خاطراً أو أخجل إنساناً، ولذلك كان الكلّ ينظرون إليه نظرتهم إلى الأب الرؤوف.

وفاته

ظل الشيخ الحائري كالطود الأشم يدير الكيان العلمي لحوزة قم ويدرأ عنه المخاطر ويردّ عنه غائلة العدوّ، ورغم الكوارث والهنابث التي كانت تنزل بالشعب الإيراني المسلم على يد حاكمه الجبّار يوماً بعد يوم، ولا سيّما رجال العلم والصلاح، فكان يرى كبار العلماء من زملائه يعانون آلام النفي والسجن، ويعاملون بمنتهى القسوة، ويُدسّ لهم السمّ في المنافي ويموتون خنقاً في السجون، ويرى السفور وقد فُرض على المحجبات وذوات العفّة والنجابة فرضاً، وطلّاب الدين يساقون إلى الخدمة العسكرية زرافات ووحداناً، والخمور تباع علناً، وعزاء سيّد الشهداء وزيارة قبور آل محمّد بالعراق وغيره محظورة يعاقب عليها، وأخيراً واقعة خراسان التي قُتل فيها الألوف من العلماء والسادة والأشراف والزوار الغرباء في مسجد «گوهرشاد» الملاصق لحرم الرضا عليه السلام حين دُعوا للاجتماع بخديعة، ووّجهت المدافع عليهم فدفنتهم تحت الأنقاض ظلماً وعدواناً..

لقد كان الشيخ الحائري يرى ذلك كلّه بعينه وقلبه يقطر دماً لأنه لا يستطيع دفع الضرّ، وكان الوحيد بين العلماء حيث لم يتعرّضوا له شخصياً وكانوا يُبدون له الاحترام ظاهراً ويجاملونه، وكان يحافظ على هذه الشكليات ليدفع بها الشرّ عن الباقين في بعض الحالات، وصار يرغب للعزلة وينزوي عن الناس لأنّه يرى ما يحلّ بهم ولا يقدر على مساعدتهم، وهكذا إلى أن مرض وتغلّبت عليه العوارض وتوفّي في ليلة السبت ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٥٥ هجرية، فثُلم الإسلام بموته، وخسر المسلمون به زعيماً كبيراً، وركناً ركيناً، وداخلَ النفوس من الخوف والهلع ما لا مزيد عليه، إذ كانوا يعتصمون به ويستظلّون بظلّه، وقد جرى له تشييع عظيم قلّ نظيره، ودفن في رواق حرم فاطمة المعصومة عليها السلام بقم، حيث مقبرته المعروفة اليوم، ورثته الشعراء وأبّنه العلماء.

آثاره العلمية

ترك الشيخ عبد الكريم الحائري من الآثار (كتاب الصلاة) في الفقه، و(التقريرات) في أصول الفقه من بحث أستاذه الفشاركي، وقد استُخرج منه كتابه الآخر (درر الأصول)، وهو حاوٍ لمباحث الأصول برمّتها ما عدا الاجتهاد والتقليد.

وقد أُتيحت له فرصة تربية جيل كبير من الفقهاء الذين أضحوا فيما بعد عمد الدين، وأساطين الحوزة، ومراجع للفقه والأُصول، وقد غطّى البلاد جلّ المتخرّجين من هذه الحوزة، فما من مدينة إلاّ وفيها خرّيج من هذه الحوزة المباركة من تلامذته، أو من المتخرّجين على يدي تلامذته، منهم: الإمام الخميني، وسيد الطائفة آية الله الكلبايكاني، وشيخ الفقهاء آية الله الأراكي قدّس سرّهم.

المصدر: مجلة شعائر، العدد التاسع والثمانون

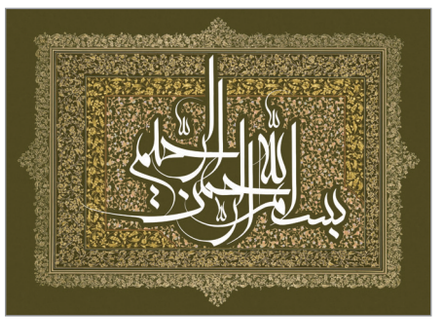

مقالة

عجائب بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ مهدي المجاهد

ورد في القرآن الكريم ١١٣ مرة «بسم الله الرحمن الرحيم» في بداية كل سورة ما عدا سورة التوبة، وقد تكررت مرتين في سورة النمل حتى أصبح عددها في القرآن الكريم ١١٤ مرة، وتسمى بالبسملة اصطلاحا، وهي تشتمل على كثير من المعارف الإلهية، لا سيّما الصفات الراجعة إلى ذات الباري عز وجل. وفي اختيار صفتي ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ فيهما من البشارة للإنسان قد يطول بنا المقام من ذكرها، منها: كونه مورد رحمته وعطفه تعالى، وفيها إرشاد إلى تعليم الإنسان؛ لتوخّي الرّحمة والمودّة في أفعاله، وجعل نفسه من مظاهر رحمته تعالى؛ ليعرف أنّه مؤمن بالله تعالى.

وقد وردت في الروايات الإسلامية عدّة خصائص للبسملة، منها: أنها أقرب شيء إلى الاسم الأعظم، وهو مفتاح كلّ كتاب سماوي، وأول ما نزل على النبي صلى الله عليه وآله، وأعظم آية في كتاب الله. وهناك مواضع يستحب فيها ذكر البسملة، منها: عند الكتابة، وفي الصباح والمساء، وعند الخروج من البيت والدخول فيه، وحين الوضوء، والقيام إلى الصلاة، وعند الجماع، وغيرها من الموارد.

وكذلك ورد في السنة الشريفة مجموعة من الآثار والآداب في ذكر البسملة، منها: البركة، والاعتصام، والاحتجاز من الأشرار، والإجهار بها، وغيرها.

وورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «أُعِيذُ نَفْسِي ودِيني وأَهْلِي ومَالِي ووُلْدِي وجَمِيعَ مَا تَلْحَقُهُ عِنَايَتِي وجَمِيعَ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدِي بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ».

فوائد البسملة

جاء في الخبر عن الإمام أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام قَالَ: «قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: ولَرُبَّمَا تُرِكَ فِي افْتِتَاحِ أَمْرِ بَعْضِ شِيعَتِنَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ؛ فَيَمْتَحِنُهُ اللَّهُ بِمَكْرُوهٍ، لِيُنَبِّهَهُ عَلَى شُكْرِ اللَّهِ والثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ويَمْحُوَ عَنْهُ وَصْمَةَ تَقْصِيرِهِ، عِنْدَ تَرْكِهِ قَوْلَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ».

وورد عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ: «لاَ يُرَدُّ دُعَاءٌ أَوَّلُهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، فَإِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وهُمْ يَقُولُونَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فَتَثْقُلُ حَسَنَاتُهُمْ فِي الْمِيزَانِ، فَتَقُولُ الْأُمَمُ: مَا أَرْجَحَ مَوَازِينَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم! فَيَقُولُ الْأَنْبِيَاءُ: إِنَّ ابْتِدَاءَ كَلَامِهِمْ ثَلَاثَةُ أَسْمَاءٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، ووُضِعَتْ سَيِّئَاتُ الْخَلْقِ فِي كِفَّةٍ أُخْرَى، لَرَجَحَتْ حَسَنَاتُهُمْ».

الشيطان والبسملة

عن العلاء بن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِذا تَوَضَّأَ أَحَدُكُم، ولَم يُسَمِّ كانَ لِلشَّيطانِ في وُضوئِهِ شِركٌ، وإن أكَلَ، أو شَرِبَ، أو لَبِسَ، وكُلُّ شَيءٍ صَنَعَهُ يَنبَغي لَهُ أن يُسَمِّيَ عَلَيهِ؛ فَإِن لَم يَفعَل كانَ لِلشَّيطانِ فيهِ شِركٌ».

تفسير بسم الله الرحمن الرحيم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ تَفْسِيرِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ،قَالَ: «الْبَاءُ بَهَاءُ اللَّهِ، والسِّينُ سَنَاءُ اللَّهِ، والْمِيمُ مَجْدُ اللَّهِ -وَ رَوَى بَعْضُهُمْ: الْمِيمُ مُلْكُ اللَّهِ- وَ اللَّهُ إِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ، الرَّحْمَنُ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، والرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً».

الفرق بين الرحمن والرحيم

وقد تعددت الأقوال بين المفسرين في الفرق بين الرّحمن والرّحيم، ومنها:

الأول: المشهور بين جماعة من المفسرين أن صفة (الرحمن) تشير إلى الرحمة الإلهية العامة، وهي تشمل الأولياء والأعداء، والمؤمنين والكافرين، والمحسنين والمسيئين، فرحمته تعم المخلوقات، وخوان فضله ممدود أمام جميع الموجودات، وكل العباد يتمتعون بموهبة الحياة، وينالون حظهم من مائدة نعمه اللامتناهية، وهذه هي رحمته العامة الشاملة لعالم الوجود كافة وما تسبح فيه من كائنات.

وصفة (الرحيم) إشارة إلى رحمته الخاصة بعباده الصالحين المطيعين، قد استحقوها بإيمانهم وعملهم الصالح، وحرم منها المنحرفون والمجرمون.

وفي رواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال: «وَاللَّهُ إِلهُ كُلِّ شَيءٍ، الرَّحمنُ بِجَميعِ خَلقِهِ، وَالرَّحيمُ بِالمُؤمِنينَ خاصَّةً».

الثاني: (الرّحمن) يختص بالدنيا و(الرحيم) بالآخرة؛ لتقدم الدنيا على الآخرة في سلسلة العوالم والنشآت الزمانية، فيكون المقدم للمتقدم والأخير للمتأخر، أو لذكر الرحيم مقرونا بالغفران والتوبة في جملة من الآيات الكريمة، والغفران وأثر التوبة في الآخرة؛ فيكون الرحيم مختصا بها.

الثالث: (الرحمن) على وزن فعلان، وهي صيغة مبالغة تدل على الكثرة، و(الرحيم) على وزن فعيل، وهي صفة مشبهة تدل على الثبات والبقاء.

الرابع: إنّ (الرحمن) من الأسماء الخاصة بالله، ولا تستعمل لغيره، بينما (الرحيم) صفة تنسب لله ولعباده. فالقرآن وصف بها الرسول الكريم، حيث قال: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وإلى هذا المعنى أشار الإمام الصادق عليه السلام، فيما روي عنه: «الرَّحمنُ اسمٌ خاصٌ بِصِفَةٍ عامَّةٍ، وَالرَّحيمُ اسمٌ عامٌ بِصِفَةٍ خاصَّةٍ».

الخامس: أنّ (الرحمن) ذات الرحمة الشاملة لكل محتاج إليها، وبجميع مراتبها التفضلية بلا اختصاص لها بنوع دون نوع، من الجماد والنبات والحيوان والإنسان وسائر المخلوقات، ومن أهم مصاديق الرحمانيّة تنظيم عالم التكوين بأحسن نظام ومن أجلى مصاديق الرحيمية تنظيم التشريع بأكمل نظام، وأثر التشريع إنما يظهر بالنسبة إلى المؤمنين العاملين به اختص الرحيمية بالآخرة من هذه الجهة، فهو تعالى رحيم في الدنيا بالتشريع، وفي الآخرة بالجزاء عليه.

هل البسملة جزء من سور القرآن أم لا؟

هناك الخلاف بين فقهاء الإماميّة على أنّ، هل البسملة جزء من سور القرآن أم لا؟ والمشهور منهم ذهب إلى أنّ البسملة جزءٌ من كلّ سورةٍ؛ ولذلك يجب تعيينها قبل الشّروع في السّورة، ولذلك يجوز الاكتفاء بها في صلاة الآيات، وهناك مجموعة من الفقهاء المعاصرين منهم -منهم السّيّد السّيستاني دام ظله- يقول: لا، البسملة ليست جزءًا، لكنها واجبٌ، فلذلك لا يجب تعيينها للسّورة ولا يجوز الاكتفاء بها في صلاة الآيات.

وقالَ السّيّدُ الخوئيّ قدس سره في منهاجِ الصّالحينَ مسألة ٦٠٣: البسملةُ جزءٌ مِن كلّ سورة؛ فتجبُ قراءتُها معهَا عدا سورةِ البراءة.

ورد عَن أبِي حمزةَ عَن أبي جعفرٍ عليه السلام قالَ: «سرقُوا أكرمَ آيةٍ في كتابِ اللهِ: بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ».

وجاء في الخبر عَنْ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيٍّ ع عليه السلام قَالَ: بَلَغَهُ أَنَّ أُنَاساً يَنْزِعُونَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ: «هِيَ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، أَنْسَاهُمْ إِيَّاهَا الشَّيْطَانُ»

أمّا عندَ المخالفينَ فرغمَ ظهورِ الأدلّةِ على كونِها منَ القرآنِ ومِنَ الفاتحةِ ومِن كلّ سورةٍ، ومع أنّها قَد كُتِبَتْ، وأثبتَتْ في جميعِ المصاحفِ على مرّ العصورِ، ولكنّهُم خالفُوا الحقَّ المُبينَ، فاختلفُوا أشدَّ الاختلافِ فيهَا، واضطربُوا أيّمَا اضطرابٍ، وحاوَلوا التّملّصَ منهَا وحذفَهَا وعدمَ الاعترافِ بقرآنيّتِهَا؛ عناداً للحقّ، وعناداً للشّيعةِ ولأهلِ البيتِ عليهم السلام، لمجرّدِ المعاندةِ، والمخالفةِ.

المصدر: الموقع الإلكتروني ريحانة

مقالة/ الجزء الخامس

أصول الفقه

المؤلف: احمد پاکتچی

العقلي. وبرغم أن ابن إدريس لايضيف إيضاحاً إلى قوله هذا، لكن و من خلال معرفتنا بأسلوبه الفقهي وكذلك نظراً للتمايز الذي كان يقول به بين الأدلة الثلاثة والدليل العقلي من حيث الرتبة في الاستناد، يمكن استنتاج أن ما كان يقصده بالدليل العقلي، ليس سوى الأصول العقلية. و إن تعامل ابن إدريس يمكن مقارنته بتعامل الغزالي الذي عدّ «دليل العقل» رابع أدلة الفقه، ولدى الإيضاح أرجعه إلى أصل البراءة.

▪ و) التطور الأصولي في مدرسة الحلة

ينبغي أن يعدّ المحقق الحلي (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) رائد حركة تطور في الأوساط الإمامية بالحلة، الحركة التي أوصلها العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) إلى ذروتها. وبرغم أن تعاليم علماء الحلة في القرن ٧هـ كانت مدعومة بتعاليم متكلمي بغداد والشيخ الطوسي، لكنها عملياً أحدثت تطوراً جذرياً في النظريات الأصولية و في الأساليب الفقهية العملية. وكان الحلّيون بعيدين عن عصر متقدمي البغداديين، بحيث كانت تعابيرهم حول إجماع وعمل الأصحاب (الطائفة)ـ سواء أكان إجماعاً على حكم، أو عملاً على مضمون خبر ـ غامضة وبعيدة عن متناول أيديهم. و لم يكن لهم نصيب من الإدراك المباشر الذي كان للشيخ الطوسي للأساليب غير الرسمية للإمامية في عصره، والذي كان بمقدوره من خلال الاستناد إلى إدراكه هذا أن يعدّ و ببساطة النزاع مع المتكلمين في باب أخبار الآحاد، نزاعاً نظرياً وغير عملي. و لم تكن أصول الشيخ الطوسي وبعد قرنين من المنافسة مع أصول المتكلمين ودون نصر حاسم، لتلبي احتياجاتهم بطبيعة الحال.

فمحققو الحلة الذين كانوا إثر إصغائهم لأقوال نقاد الشيخ يخطون خطوة على طريق التخطيط لأصول متطورة، وجدوا السبيل أخيراً في أن يؤسسوا أصول فقههم بالاستفادة من بحوث الغزالي وبقية الأصوليين من أهل السنة مثل ابن الحاجب بنسيج مختلف، و في نفس الوقت، مع المحافظة على المواقف الأصيلة والتقليدية لمدرسة الإمامية. و إن عنصر «إجماع الطائفة» الذي كان يستخدم في الفقه البغدادي القديم ـ سواء لدى المتكلمين، أم لدى الشيخ الطوسي ـ بوصفه دليلاً مستقلاً وكذلك لتلافي ضعف الأسانيد في أخبار الآحاد، وبضعفه التاريخي لم يكن قابلاً للفهم وبطبيعة الحال غير قابل للاعتماد عليه من قبل الحلّيين، فقد تمّ التقليل من شأنه والتأكيد على قلة جدواه من الناحية العملية.

وعلى هذا، فقد حذفت في فقه الحلة حالة وساطة الإجماع بين «المفتي» والأدلة الفقهية، وبمقتضى طبيعة عدم إنكار الظنية في أغلب الأدلة، فإن استنباط الفروع من المصادر الظنية، اتخذ له موضوعية بشكل جاد. و في الحقيقة، فإن أهم خصائص أصول الفقه لدى الحليين كانت نسيان الأساليب القديمة في تجنب الظن، والاتجاه نحو استنباط الفروع الفقهية عن الطرق الظنية والتي يمكن بلوغها مثل ظواهر الكتاب وأخبار الآحاد وبطبيعة الحال بعض الأساليب الاجتهادية.

رأى المحقق الحلي أن الأدلة الفقهية خمسة وأضاف إلى أدلة الكتاب والسنة والإجماع دليلي العقل والاستصحاب. ويتضح من شرحه لهذا التقسيم أنه بإلحاقه أصل البراءة بأصل الاستصحاب، بوّب الأصول العقلية ليس في القسم الرابع (دليل العقل) بل في القسم الخامس (العنوان العام للاستصحاب)، واعتقد بمصاديق أخرى لدليل العقل. ورأى أن القسم الرابع، أو دليل العقل على شكلين: الأول الدلالات العقلية الخاصة بالخطاب، و هي «لحن الخطاب وفحوى الخطاب ودليل الخطاب»؛ والثاني المستقلات العقلية.

ويقع على رأس أهم المؤلفات الأصولية لمدرسة الحلة، معارج الأصول للمحقق الحلي، و من بعده آثار العلامة الحلي وبشكل خاص مبادئ الوصول. و إن مجموعة الآثار المهمة التي ألفت بعد آثار العلامة الحلي هي في حقيقتها شروح على آثاره. و إن التيار الفقهي الذي بدأ في الحلة، استمر منذ فترة قديمة على أيدي فقهاء في إيران والبحرين وجبل عامل، لكن وبرغم كثرة المؤلفات في الفقه، فإنه قلما يلاحظ اتجاه للتأليف في الأصول.

و من المؤلفات القليلة، تجدر الإشارة إلى جامع البين في فوائد الشرحين للشهيد الأول الذي حاول المؤلف أن يوائم فيه بين الشرحين الشهيرين تهذيب الوصول لعميد الدين الأعرجي وضياء الدين الأعرجي، كما مَنحَ في مقدمة ذكرى الشيعة بشكل موجز ضمن حديثه عن أدلة الفقه وقصرها على الأدلة الأربعة الشهيرة، مجالاً أوسع لدليل العقل ورأى أنه على قسمين: الأول تلك المجموعة من الدلالات العقلية غير القائمة على الخطابات الشرعية والتي تشتمل المستقلات العقلية والأصول العقلية (البراءة والاستصحاب)؛ والثاني تلك المجموعة من الدلالات العقلية القائمة على الخطاب. كما ضمَّن في هذا القسم بعض البحوث المتعلقة بالملازمات العقلية مثل مقدمة الواجب، فضلاً عن دلالات لحن الخطاب وفحوى الخطاب ودليل الخطاب.

ومواصلة للحركة المحدودة لتدوين الأصول، ينبغي أن نضيف أن جهود السيد بدر الدين الكركي (ت ٩٣٣هـ / ١٥٢٧م) في تأليف أثره الأصولي العمدة الجلية ظلت ناقصة بحسب شهادة تلميذه الشهيد الثاني؛ إلا أن منعطف تدوين الأصول خلال هذه الفترة كان معالم الأصول للشيخ حسن نجل الشهيد الثاني الذي مايزال حتى اليوم متداولاً في الحوزات العلمية الشيعية بوصفه متناً تدريسياً. وميزته هي البحوث التحليلية والمنقحة في نفس الوقت وإبداء المؤلف آراءه الشخصية التي ينبري فيها أحياناً لنقد نظريات الحليين الأصولية.

▪ ز) تعارض الفكرين الأخباري والأصولي

تزامناً مع تبلور المدرسة الأصولية في الحلة، كان نفي الأساليب الأصولية وقصر مصدر الأحكام على النصوص الواردة عن الأئمة عليهم السلام إلى جانب نفي التقليد، بوصفهما ركنين أساسيين للفكر الأخباري، في حالة تبلور في بيئة الحلة نفسها ويلاحظ أحد مظاهرها في آثار رضي الدين ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م)، إلا أن هذا النمط من التفكير لم يتخذ وإلى عدة قرون شكل مدرسة متكاملة.

ويُعدّ أمين الإسترابادي (ت ١٠٣٣هـ/١٦٢٤م) بوصفه أول من دوّن الأفكار الأخبارية وطرحها في إطار نظرية مضادة للأصول، في تاريخ الفقه، برغم أنه كان يرى أن نظريته ليست فكراً جديداً، بل تتمة لحركة أصحاب الحديث الإمامية. و قد نقد في آثاره وبشكل خاص الفوائد المدنية، الأساليب الأصولية للحليين وعدّها اقتباساً من أصول أهل السنة وغير منسجمة مع البنية الأساسية للفقه الإمامي. و في محاربته للمصادر الظنية، عَدَّ حتى ظواهر كتاب الله بعيدة عن الحجية؛ وبطرحه نظرية أن الطريق الوحيد للوصول إلى مضامين الكتاب والسنة النبوية هو أخبار الأئمة عليهم السلام عَدَّ بشكل عملي الأخبار، الدليل الوحيد. و في هذه الأوضاع، كان لدليل الإجماع وضع خاص، فكان يتم تضعيفه من قبل كلا المدرستين؛ إذ إن الإجماع لم يكن في فكر الأخباريين معتداً به أساساً، و في المدرسة الأصولية وبرغم بعض الجهود للدفاع عن قيمته، فكانت قد وجهت إليه انتقادات شديدة.

▪ ه) الشيخ الطوسي وأتباعه ونُقّاد آرائه

يُلاحظ في أصول الفقه لدى الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م) والتي يمكن أن تُعدّ جسراً بين أصول المتكلمين ومعتقد أصحاب الحديث، تحول جذريّ بشأن حجية خبر الواحد. وقبل أن يؤدي موقف الشيخ الطوسي في تأييد حجية خبر الواحد إلى ظهور تحول عملي في الفقه، وكما أشار هو في كتابه الأصولي، فهو تغيير في الرؤى النظرية وبتعبير أوضح هو تجديد نظر أصولي، ذلك، أن شطراً واسعاً من فقه متكلمي بغداد كان قبل ذلك قد بُني في الحقيقة على أساس أخبار الآحاد التي كان ضعفها السَّنَدي يتم تلافيه بإجماع الطائفة على الخبر، و في المجال العملي، فإن الشيخ الطوسي بدوره كان قد وضع نفس الأخبار بشكل رئيس في المستندات النقلية لفقهه. وبحسب بيان الشيخ الطوسي للمسألة، فإن رفض حجية خبر الواحد التي عُرف بها فقهاء الإمامية كانت معارضة نظرية لأخبار الآحاد المتداولة في أوساط أهل السنة، ولم يتردد هؤلاء الفقهاء عملياً في العمل بالأخبار المتداولة والمعمول بها لدى الأصحاب.

كذلك و من زاوية الرؤية النظرية و من غير الالتفات إلى القيمة العملية، ينبغي التذكير بأن إجماع الطائفة في نظرية الشيخ الطوسي الأصولية كانت ماتزال تتمتع بمكانة مهمة جداً؛ وبرغم أنه و من خلال نظرة عميقة كان يتوقع أن يقلل اتساع نطاق العمل بالأخبار بشكل طبيعي من مكانة الإجماع في أصول الشيخ الطوسي.

و قد جمعت آراء ونظريات الشيخ الطوسي الأصولية بين دفتي أثر عنوانه عُدّة الأصول كان على الدوام من المتون الكثيرة التداول في الأوساط الإمامية. وجدير بالذكر أن شخصية الشيخ الطوسي بوصفه شيخ الطائفة، تركت أثراً خالداً في الأوساط الإمامية من بعده، وكانت البحوث الأصولية في الفترات اللاحقة، تقوم بشكل أكبر على أساس آرائه ونظرياته، حتى إن سديد الدين الحمصي عدّ الفقهاء الذين أعقبوا الطوسي مقلّدين له. و مع هذا، فلاينبغي تجاهل مكانة الشريف المرتضى إلى جانب الشيخ الطوسي ومكانة الآراء الحرة بشكل تام، والنظر إلى التعاليم الأصولية بعد الشيخ على أنها بأسرها تكرار لتعاليمه، بل يجدر البحث عن شواهد إضافية يمكنها أن توضح بشكل أكبر التاريخ غير الواضح للأصول الإمامية في الفترة الواقعة بين الشيخ والمحققين الحلّيين.

و في العقود الأخيرة من القرن ٥هـ / ١١م وطوال القرن ٦هـ / ١٢م، أُلفت آثار عديدة في أصول الفقه لدى الإمامية يصعب إبداء الرأي في مضامينها لعدم توفر مخطوطاتها، أو إيضاحات بشأنها، لكن استناداً إلى المعلومات القليلة المتوفرة يمكن تمييز الخطوط العامة لها. ولايبدو أن أبا بكر أحمد بن الحسين الخزاعي النيسابوري من علماء أواسط القرن ٥هـ وأحد تلامذة الشريف المرتضى والشيخ الطوسي، ترك جانباً في كتابه المفتاح في الأصول كل ما تعلّمه من الشريف المرتضى، كما أن عالماً مثل عماد الدين الطبري في أواخر القرن ٥ وأوائل القرن ٦هـ، في مؤلّفه الأصولي شرح مسائل الذريعة (م.ن، ١٦٤)، وبرغم بعد الفاصل الزمني بينه وبين عصر الشريف المرتضى ونشأته في محفل درس أبي علي الطوسي، نجل الشيخ الطوسي وناشر آرائه، وكذلك علي بن زيد البيهقي (ت ٥٦٥هـ / ١١٧٠م) في مؤلّفه تلخيص مسائل من الذريعة، قد أبديا اهتماماً فائقاً بالتعاليم الأصولية للشريف المرتضى.

وحول كتاب لعبد الله بن أحمد بن أبي مطيع في أوائل القرن ٦هـ عنوانه كتاب الاجتهاد، فإن التخمين المنطقي الوحيد هو أنه كان كتاباً جدلياً في الرد على أصحاب الرأي، وبتعبير أكثر وضوحاً على الحنفية فيما يبدو، ذلك أنه لم تُعرف سابقة لاستنتاج إيجابي لمصطلح الاجتهاد في الأوساط الإمامية إلى القرن ٧هـ / ١٣م.

و في الفترة الممتدة من عصر الشيخ الطوسي وإلى عصر كتّاب الأصول من مدرسة الحلة، فإن الأثر الأصولي الوحيد الباقي هو النصف الأول من كتاب غنية النزوع لابن زهرة الحلبي (ت ٥٨٥هـ / ١١٨٩م) الذي يعدّ وثيقة مهمة لدراسة تاريخ الأصول لدى الإمامية خلال هذه الفترة. و قد بدأ ابن زهرة بحثه في بحوث الألفاظ بطرح موضوعات مثل مسائل الأمر والنهي، مبحث العموم والخصوص، حجية مفهوم المخالفة والنسخ، وواصل الحديث ببحوث الأدلة المتضمنة لبحوث الأخبار والإجماع والقياس والاستصحاب، وكان في مضامينه ومواقفه قريباً جداً من أصول الشريف المرتضى. إن معلوماتنا عن شخصية سديد الدين الحمصي، العالم الإيراني الشهير في أواسط القرن ٦هـ توضح إلى حدّ ما خصيصة كتابه الأصولي المفقود المصادر في أصول الفقه؛ ذلك أن الحمصي من أشهر الفقهاء الإمامية والذي انبرى في القرن ٦هـ / ١٢م، لنقد أصول وأسلوب الشيخ الطوسي الفقهي جنباً إلى جنب ابن إدريس و ابن زهرة.

إن الميزة المشتركة التي يمكن العثور عليها لدى منتقدي الشيخ الطوسي هي تقييمهم للأصول عند الشريف المرتضى ولأسلوبه الفقهي، حيث كانوا يجدون مواقفه أحياناً أكثر رصانة من مواقف الشيخ وينبرون للدفاع عن تلك المواقف بالتصريح، أو التلميح و إن الاستناد إلى الموقف الأصولي للمتكلمين في نفي حجية خبر الواحد، هو العلم البارز لهذه النزعات.

وعلى حد علمنا، فإن أول مصدر إمامي تحدث عن الأدلة الأربعة و عدّ العقل رابعها، كان كتاب السرائر الفقهي لابن إدريس الحلي (ت ٥٩٨هـ / ١٢٠٢م) الذي أورد في مقدمته بشكل موجز أنه في حالة فقدان دليل من الكتاب والسنة والإجماع، فالمعتمد عند المحققين التمسك بالدليل

في أواسط القرن ١٢هـ / ١٨م كتب علماء معتدلون من الجناح الأخباري ممن كانوا أصحاب نظريات أصولية، و في تعامل منصف لهم مع علم الأصول، تقبلوا قسماً من الأساليب الأصولية، واستدلالات الأصوليين. و من ثمار هذه الحركة ينبغي أن نذكر آثاراً مثل شرح الوافية لصدر الدين الهمداني ومقدمة الحدائق للشيخ يوسف البحراني ونخبة الأصول لمحمد بن علي البحراني، التي هي بحد ذاتها آثار أصولية من وجهة نظر ما. و قد هيأت هذه الحركة، الأرضية لأن يبعث الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩١م) أواخر ذلك القرن، الحياة مرة أخرى في الفقه المستند إلى الأصول في أوساط الفقه الإمامي.

و من أهم المؤلفات في أصول الفقه، يجب أن نذكر حاشية المعالم لسلطان العلماء المازندراني (ت ١٠٦٤هـ / ١٦٥٤م) والوافية للفاضل التوني (ت ١٠٧١هـ / ١٦٦١م)، في الفترة التي سبقت الوحيد البهبهاني؛ والقوانين المحكمة للميرزا القمي (ت ١٢٣١هـ / ١٨١٦م) والفصول لمحمد حسين الأصفهاني (ت ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م)، في الفترة التي أعقبته، وكان هذان الأثران بشكل خاص وحتى القرن الأخير من أكثر الكتب تداولاً في الحوزات العلمية.

▪ ح) المدرسة الأصولية للشيخ الأنصاري

بادر الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م)، الفقيه القدير الذي ألقت تعاليمه الأصولية بظلالها على تعاليم الأوساط الإمامية في المائة وخمسين سنة الأخيرة، ولدى تناوله نظريته و من غير الخوض في البحوث الواسعة المتعارف عليها في الآثار الأصولية حتى ذلك الحين وبأسلوب بديع في التمهيد، إلى قصر بحثه على نطاق خاص من البحوث الأصولية، أي الأصول العملية. وبرغم أن كليات بحث الأصول العملية تلاحظ في أصول فقه ما قبل الشيخ أيضاً، لكن ما يضفي على نظرية الشيخ طابعاً متميزاً هو الزاوية التي ينظر منها في طرح البحث التي تجلت بأسلوب موجز ومنطقي في مقدمة كتابه الفرائد. فقد صور الشيخ الأنصاري في هذا الكتاب الذي هو المصدر الرئيس لدراسة الأسس والأفكار التي يتبناها في أصول الفقه برؤية فلسفية، وضع المكلَّف الحائر في مواجهة المجموعة الفقهية المعقدة، ورأى أن وقوفه على التكليف الشرعي بالحصر العقلي، على ثلاث مراتب هي القطع والظن والشك. وحدد الشيخ البحث في القطع والظن بحدود الحاجة، وخصص القسم الرئيس من كتابه لدراسة حالات الشك والذي هو ميدانه في التنظير الأصولي. و في تعامله مع حالات الشك مرة أخرى ـ وباتخاذه الحصر العقلي أساساً ـ طرَح منظومة قائمة على الأصول العملية الأربعة: الاستصحاب والتخيير والبراءة والاشتغال (أو الاحتياط) التي يُعَدّ وضعه لها إلى جانب بعضها مع طرحه نظرية جامعة ومانعة لإزالة الشكوك استناداً إلى هذه الأصول الأربعة، من خصوصيات فكره الأصولي.

ولدى عدّ أهم المؤلفات في أصول الفقه المتأخرة عند الإمامية، تجدر الإشارة بعد كتاب الفرائد، أو الرسائل للشيخ الأنصاري، إلى كتاب الكفاية لآخوند الخراساني (ت ١٣٢٩هـ / ١٩١١م) الذي كان كتابه خطوة على طريق مدرسة الشيخ وباتجاه توسيع نطاق أصوله. وجدير بالذكر أن الترتيب المتداول للمتون التعليمية لأصول الفقه في الحوزات الحالية للإمامية، ينسجم مع الترتيب الزمني لتأليف هذه المتون، و إن انسجام مكانة المتون التعليمية هذا مع التطورات التاريخية لعلم الأصول يعين الباحث على إدراك التعاليم الأصولية بشكل أعمق. و في الأسلوب التقليدي للتعليم، تُدرَّس أولاً الآثار الأكثر قدماً مثل معالم الشيخ حسن وقوانين الميرزا القمي، و في مرحلة متطورة، تدرس الفرائد والكفاية.

▪ ط) أصول الفقه في الأوساط الزيدية

فيما يتعلق بالفقه القديم للزيدية وأساليبه الأصولية، ينبغي أن يبدأ الحديث أولاً عن زيدبن علي (مة ١٢٢هـ / ٧٣٩م) من علماء أهل البيت عليهم السلام الذي رأى استناداً إلى رواية واردة في مسند زيد والذي ورد في سند روايته أبو خالد الواسطي، بعد الكتاب والسنة، «إجماعَ الصالحين» و في حالة عدم العثور على الحكم، الاجتهادَ والقياس من قِبل «إمام» و «قاضي المسلمين» من بين الأدلة الفقهية. و إن هذه الرواية قريبة جداً من الروايات الشبيهة بها الشائعة في الكوفة لتابعين مثل عمارة بن عمير وعامر الشعبي، وكان مضمونها نهجاً لفقهاء الكوفة في عصر زيد.

في النصف الأول من القرن ٣هـ / ٩م، كان القاسم بن إبراهيم الرسي (ت ٢٤٦هـ / ٨٦٠ م) أحد الأئمة الزيدية في الحجاز، شخصية بارزة في تاريخ علم الكلام والفقه لدى الزيدية؛ وكان و هو الذي ينزع في عقائده إلى آراء المعتزلة، يتبع في الفقه والأصول أيضاً الأساليب القريبة من متقدمي المعتزلة مثل جعفر بن مبشر على ما يبدو، وكان المذهب القاسمي منسوباً إليه. وبرغم أنه وإلى جانب نشر المذهب القاسمي، كان شعور الزيدية بصلة القربى بأبي حنيفة يحدو بهم وبشكل خاص في أجواء العراق، إلى الاقتراب من الأساليب الفقهية الحنفية، لكن لاينبغي أن نبالغ في تأثير هذه النزعة في الحجاز في النصف الأول من القرن ٣هـ، وخاصة في الحديث عن القاسم نفسه، إذ لايجب أن نعدّه من الذين ينزعون إلى الأساليب الحنفية التي كانت الطرف المقابل لأسلوب المتكلمين المتقدمين.

و في النصف الثاني من القرن ٣هـ، كان النفوذ المتزايد للأساليب الأصولية للحنفية في الأوساط الزيدية من جهة، وإعادة المعتزلة النظرَ بشكل رئيس في أساليبهم الفقهية من جهة أخرى، قد جعل المذهب القاسمي أيضاً بحاجة إلى إعادة النظر في أصول الفقه، وتبعاً لهذه الحاجة، حلّ المذهب الهادوي محله. فقد أسس الهادي إلى الحق، حفيد القاسم الرسي من خلال اتخاذه عناصر المذهب القاسمي أساساً واستفادته من الأساليب الأصولية الحنفية، نظاماً في فقه الزيدية اشتهر بالمذهب الهادوي، وأصبح قريباً من المذهب الحنفي في نهاية المطاف. وطوال قرون كان المذهب الهادوي، المذهب الغالب على التعاليم الفقهية الزيدية وترك أثراً عميقاً في الأوساط الزيدية في الفترة التي أعقبت الهادي إلى الحق.

ولدى البحث عن الكتابات الأصولية، لاتلاحظ وحتى القرن ٦هـ نزعة نحو التدوين. و من النماذج القليلة تجدر الإشارة إلى كتاب القياس للهادي إلى الحق الذي كان رسالة في تأييد المبادئ الأصولية للقياس. و في بداية القرن ٧هـ / ١٣م، ينبغي أن نذكر أثراً بعنوان صفوة الاختيار لعبد الله بن حمزة المنصور بالله (ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م) الذي كان مؤلفاً جامعاً في البحوث الأصولية، والذي أعقبته مؤلفات مثل ينابيع النصيحة للحسين بن بدر الدين (ت ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م) والدرة المنظومة في أصول الفقه لعبد الله بن زيد العنسي (ت ٦٦٧هـ). و في القرن ٩هـ / ١٥م، وكما هو الحال في المجالات الأخرى، أحدث ابن المرتضى أحمدبن يحيى (ت ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦م) تطوراً في الأصول أيضاً، فألف في هذا العلم آثاراً عديدة وبشكل خاص كتابه المهم معيار العقول.

و إن أبرز مكانة في الأصول لدى الزيدية بعد ابن المرتضى هي لكتاب الكافل الذي ألفه محمد بن يحيى بهران (ت ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) والذي كتبت عليه عدة شروح يمكن أن نذكر من أكثرها انتشاراً: شرح أحمد بن محمد ابن لقمان (ت ١٠٢٩هـ / ١٦٢٠م) المطبوع في صنعاء (١٣٦٠هـ / ١٩٤١م) والروض الحافل لإبراهيم بن محمد المؤيدي (ت ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م).

و في القرن ١١هـ / ١٧م، شرح الحسين بن القاسم، أحد الأئمة الزيدية مؤلفه الأصولي الموجز، الغاية في أثر بعنوان الهداية، حيث كان المتن والشرح كلاهما يتمتعان بالرواج. كما شرح الحسن بن أحمد الجلال مختصراً آخر لصارم الدين الوزير (ت ٩١٣هـ / ١٥٠٧م).

بعنوان الفصول اللؤلؤية. وأخيراً و في القرن ١٣هـ / ١٩م، ينبغي أن نذكر الكتاب العلمي إرشاد الفحول لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) الذي كان برغم تمسك المؤلف بالمذهب الزيدي، بحثاً مقارناً في أصول المذاهب الإسلامية المختلفة، ويعدّ أثراً فريداً من نوعه.

المصدر: دائرة المعارف الإسلامية الكبرى

تعريف بكتاب

موسوعة آية الله السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان

بجهود متظافرة وعملٌ دؤوب إزاحة الستار عن موسوعة تضم ٤٦ مجلد

ازاحت العتبتان المقدستان العلوية والحسينية الستار عن موسوعة العلامة المحقق السيد محمد مهدي الخرسان دام عزه، وذلك في ختام مؤتمر أمناء الرسل، وهي موسوعة تاريخية فقهية عقائدية، تأليف وتحقيق السيد محمد مهدي الخرسان، حيث تبنت العتبة الحسينية المقدسة من خلال مجمع الإمام الحسين عليه السلام العلمي طباعة هذه الموسوعة التي تتألف من ٤٦ مجلد مقسمة على النحو التالي:

١- موسوعة ابن عباس ج١-ج٢١.
٢- موسوعة ابن ادريس الحلي (السرائر) ج١-ج١٤.
٣- علي امام البررة ج١-ج٣.
٤- منتقلة الطالبيين.
٥- بغية الطالب في ايمان ابي طالب.
٦- مزيل اللبس في مسألتي شق القمر ورد الشمس.
٧- المحسن السبط مولود أم سقط.
٨- السجود على التربة الحسينية وحي على خير العمل.
٩- نهاية التحقيق فيما جرى في امر فدك للصديقةِ والصديق والبيان في اخبار صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف.
١٠- مقدمات كتب تراثية ج١-ج٢.

الآفاق
السنة الثانية
ال ٣٩
الإثنين ٢٣ ربيع‌الأول ١٤٤٥ هـ.ق
٨ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
متعلق بمركز إدارة الحوزات العلمية
المشرف: رضا رستمی
مدير التحرير: علي‌رضا مكتب‌دار بمساعدة الهيئة التحريرية
هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
العنوان: قم، شارع جمهوري، زقاق ٢، رقم ١٥
الموقع: www.ofoghhawzah.ir
البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
تصميم: السيد امير سجادي • مسئول الطبع: مصطفى اويسى
طباعة: صميم ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨+

شعر وقصيدة

يا فاطمة المعصومة عليها السلام

رائد أنيس الجشي

إليكِ تحج آلاف الحيارى
تطوف بقبرك الحاني سكارى
فيزكو قلبهم من كل ذنب
كأن يديكِ تنفضه غبارا
أيا معصومة من كل رجس
إليك الشوق بالأحلام سارَ
أتيتك والدموع فراش قلبي
تسارع بي فقدسك قد أنارَ
وروحي خرقة خضراء لُفت
على الشباك تلثمه افتخارا
عقدتُ الروح بالخرزات تيها
فهلا جلتِ بالروح ابتذارا
وأنبتتِ المحبة في فؤادي
فدونكِ ينبت الخفاق عارَ
أيا اخت الرضا هذا قصيدي
وعشقكِ مثل دمعي قد تجارى
فليتك تقبلين صلاة حرفي
وقد قطع البحور هوى وزارَ
وليتك تقبلين صلاة قلبي
وقد بات الرجاء له دثارا
هو المسكين يرجو منكِ عطفا
وأوردتي اليتامى والأسارى
وأنت كريمة من بيت جودٍ
فجودي أطفئي للقلب نارا

▫ مقالة/ الجزء الثاني

الخاتمية والمرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام

نقد آراء د.سروش

▫ آية‌الله الشيخ جعفر سبحاني/ ترجمة: السيد حسن مطر

▫ الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

▪ تضمين حجية أقوال النبي في سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إذا كان كتاب الله وسنة النبي حجة حقاً فإننا نجد في سنة النبي المتواترة أن العترة إلى جانب القرآن الكريم؛ إذ يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله؛ وعترتي». وقد شبّه النبي الأكرم عترته بسفينة نوح؛ إذ يقول: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح، مَنْ ركبها نجا، ومَنْ تخلّف عنها غرق».

وعليه نتساءل: إذا كان علم ومعرفة كل واحد من أهل بيت النبي لا يتجاوز مستوى علم ومعرفة أيّ صحابي آخر فلماذا أعطى النبي الأكرم كل هذه المزايا لهم، وفضّلهم على غيرهم، فيسمّيهم تارةً بعِدْل القرآن، وتارة أخرى بسفينة نوح؟! ألا يشكل هذا النوع من المزايا والخصائص دليلاً على أنهم كانوا يتمتّعون بعلم مختلف عن العلوم التي عند غيرهم، وأنهم في ضوء هذه المعرفة يعمدون إلى توضيح أحكام قد نزلت على النبي مسبقاً، لا أنهم يأتون بأحكام جديدة ومبتدعة؟

▪ استخلاص النتائج

١. كان الأئمة المعصومون عليهم السلام ينقلون الكثير من الأحكام، ويضعونها تحت تصرّف الناس، من صحيفة علي. وإنّ ما يقولونه إنما هو بيانٌ لأحكامٍ تمّ تشريعها مسبقاً، وليس تشريعاً لأحكام جديدة.

٢. إذا كان الأئمة عليهم السلام يُلهَمون من قبل الله ببعض الأحكام فالمراد من ذلك هو بيان الأحكام التي نزلت على قلب النبي، ولم تتوفّر الظروف والشروط لبيانها في وقتها.

والذي نرجوه من الكاتب، ومَنْ تَرِدُ على ذهنه مثل هذه الشبهات، أن يفرّق بين إنشاء الأحكام والإخبار عن الأحكام التي نزلت على رسول الله؛ فإنّ إنشاء الأحكام الجديدة مناقض للخاتمية، إلا أنّ الإخبار عن الأحكام التي نزلت على قلب النبي إنما هو تأييد للخاتمية، ومن جملة علاماتها وأدلّتها. والغريب أن البعض يقبل بحصول الإلهام لأمّ موسى عليها السلام، أو تكليم الملائكة لمريم العذراء، أو زوج إبراهيم عليه السلام، الوارد خبره في القرآن الكريم، ويستكثرون في الوقت نفسه ذلك على الأئمة المعصومين عليهم السلام، ويشكّكون في إمكانية اطلاعهم على الأحكام التي تمّ تشريعها سابقاً! ومن الآيات الواردة في تكليم الملائكة لغير الأنبياء عليهم السلام: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢)؛ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ (القصص: ٧).

لقد كان حديثنا حتى الآن مع شخص يؤمن بالخاتمية واختتام عصر النبوّات، ولا يرى للإنسان من سبيل نجاة سوى الإسلام، ولكنْ بقراءة أخرى. ولذلك أوضحنا أن خاتمية النبوّة لا تناقض المرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام أدنى معارضة، وأنّ أئمة أهل البيت إنما يعملون على بيان الوحي والتشريع الذي سبق أن نزل على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

▪ تناقض في الأقوال

أجل، إن لدينا هنا عتاباً خاصّاً لشخص الدكتور سروش، وهو أنّ هذا الإشكال لو كان صادراً عن الآخرين لكان لنا أن نعذره، إلا أنّ مَنْ كان على شاكلة الدكتور سروش فالمفروض أنه يؤمن بسلسلة من الأصول التي لا تنسجم مع ختم النبوّة وانقطاع الوحي. وتلك الأصول التي دعا إليها الدكتور سروش هي:

أ) استمرار الوحي النبوي.

ب) الإيمان بالتعددية الدينية والسبل المستقيمة.

فقد ذكر، في ما يتعلق بالعنوان الأول، «أنّ التجربة النبوية، أو ما يشابه تجربة الأنبياء، لا تنقطع بشكل كامل، بل يبقى لها حضور مستمر ومتواصل».

وذهب في ما يتعلق بالعنوان الثاني إلى العديد من السبل المستقيمة، بدلاً من الصراط المستقيم، فآمن بالتعددية الدينية في أوسع معانيها، وقال بأنّ جميع القراءات الإسلامية صحيحة، ومدعاة إلى النجاة.

وعليه كيف يسوّغ لنفسه تخطئة القراءة الشيعية في ما يتعلق بالأئمة، ويذهب إلى الاعتقاد المقابل والمناوئ؟! وكما يقول المثل: يرى القذى في عين الآخرين، ولا يرى الخشبة المعترضة في عينه. وقد قال في بعض تعبيراته:

١. «علينا أن نذعن لهذه الحقيقة بالمطلق. وعلينا أن نغيّر نظرتنا. وبدلاً من القول بوجود خط واحد مستقيم في العالم، والكثير من الخطوط المنحرفة والمائلة، علينا أن نرى تقويم جميع الخطوط، رغم تقاطعها وتوازيها وتطابقها، وهناك في الحقيقة امتزاج بين الحقائق».

فإذا كانت جميع الخطوط عنده مستقيمة وصحيحة فكيف يرى عقيدة الشيعة في باب المرجعية العلمية للأئمة خطأً مائلاً ومنحرفاً عن الصراط المستقيم، فإلى أيّ شيء يشير هذا التناقض بين النظرية والتطبيق؟!

٢. «إنّ الإسلام السني فهم للإسلام. وكذلك الإسلام الشيعي، فهو فهم آخر للإسلام. وإن هذا وتوابعه ولوازمه أمر طبيعي وصحيح». فإذا كان الإسلام الشيعي. كما يقول. فهماً طبيعياً وصحيحاً عن الإسلام فكيف يذهب الآن إلى الاعتقاد بأن إيمان الشيعة بمرجعية أئمتهم العلمية أمرٌ غير طبيعي وغير صحيح؟!

▪ نظرية تكامل المعرفة الدينية (القبض والبسط) ولوازمها الخاطئة

إنه عندما استعرض نظرية القبض والبسط في مجلة «كيهان» قال بأنّ كلّ العلوم البشرية مترابطة ومتداخلة فيما بينها، كالسبحة في اليد، فعندما يحصل تغير أو تحرك في أيّ من هذه العلوم فإنّ ذلك يؤثّر بصورة أو بأخرى على العلوم الأخرى، بما في ذلك العلوم الدينية.

وقد قلت في نقد هذه النظرية:

١. إنّ التعبير بالقبض والبسط في فهم الشريعة إنما هو تعبير محترم ومؤدب عن السفسطة والتشكيك الذي ظهر في اليونان، وتمّ القضاء عليه فيما بعد من قبل حكماء من أمثال: أرسطو وغيره. وعلى مَنْ أراد المزيد الرجوع إلى تلك المقالة.

٢. إنّ فرضية (القبض والبسط في فهم الشريعة) قد حكمت على نفسها بالموت؛ لأنها تشمل نفسها أيضاً. فلربما تتحول هذه النظرية في ضوء سلسلة من الفرضيات في العلوم والمعارف إلى أكثر عمقاً، بل ومتناقضاً بينه وبين نفسه أحياناً.

٣. إنّ هذه النظرية لا تتناسب والخاتمية، في حين أنّ الخاتمية من الأسس والأصول الثابتة والبديهية في الإسلام. فإننا لو فرضنا تحول الأفكار والعلوم والموضوعات فإن ذلك يشمل الخاتمية؛ بوصفها موضوعاً أيضاً، فلا بد أن يطالها التغيير والتبدّل نتيجة للتبدُّل والتغيّر في تلك العلوم.

لقد كان هذا النقد من الوضوح والقوّة بحيث اضطر أحد مناصريه، الذي ألّف كتاباً تحت عنوان: «نقد بعض الاعتراضات الموجّهة لتلك النظرية»، إلى القول بأنه وجده وجيهاً للغاية. فما عدا مما بدا؛ إذ بادر حالياً، رغم مبانيه في التجربة النبوية، واستمرار الوحي، والاعتقاد بالسبل المستقيمة، والتعددية الدينية، والقول بمختلف القراءات عن الدين، يأتي ويهدم كل ما بناه من خلال انتقاده للفكر الشيعي؟! أما أنا ففي حيرة من أمره! وعليه أن يفتينا مأجوراً.

▪ المحور الثاني: خصائص الأنبياء عليهم السلام

قال سروش: إنّ للأنبياء ثلاث خصائص أساسية، وهي:

أ. إنهم يحصلون على علومهم ومعارفهم من الله تعالى مباشرة بلا واسطة.

ب. إنهم معصومون عن الخطأ في القول والفعل.

ج. إنّ كلامهم حجّة على غيرهم.

وبذلك يصل إلى نتيجة مفادها أننا كلما ذهبنا إلى اعتبار علم أئمة الشيعة مباشرياً، وليس اكتسابياً، ومن جهة أخرى نعتبرهم معصومين عن الخطأ في القول والفعل، واعتبرنا حجيّة كلامهم على الآخرين، فعندها لن يكون هناك أيّ فرق بينهم وبين الأنبياء، وإنّ مسألة الخاتمية ستغدو مجرّد لفظ بلا مفهوم.

ونقول في تحليل كلامه ما يلي:

أولاً: صحيح أنّ الأنبياء يتمتعون بهذه الخصائص الثلاث، ولكن بالإضافة إلى هذه الخصائص هناك خصيصة رابعة لا توجد في الأئمة، فإنّ للأنبياء مقام النبوّة والشريعة، وإنّ الوحي الإلهي إنما نزل عليهم لأنهم حملة شريعة، ومؤسّسون لدين جديد. والأئمة يفتقرون إلى هذه الخصيصة الرابعة، أي إنهم لا يتمتعون بمرتبة النبوّة، وليسوا دعاة لشريعة جديدة، وإنما هم مشمولون لنعمة الله، فاستحقوا حمل شريعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، حيث استؤمنوا واستحفظوا عليها.

ثانياً: صحيح أنّ الأئمة يتمتعون بهذه الخصائص الثلاث، ولكن هذا لا يعني أنّ كل من توفّرت فيه هذه الخصائص يجب أن يكون نبياً بالضرورة. وكما يقول المثل المعروف: «ليس كل ما يلمع ذهباً». وكما يقول المناطقة: إنّ بين هذه الخصائص الثلاث وبين النبوة عموماً وخصوصاً مطلقاً، فكلُّ نبي يجب أن تتوفر فيه هذه الخصائص الثلاث، ولكن ليس كلّ من توفرت فيه هذه الخصائص الثلاث يجب أن يكون نبياً بالضرورة.

ففي ما يتعلّق بالخصيصة الأولى، وهي العلم اللدني، يمكن القول: كثيراً ما يحصل ذوو النفوس الطاهرة على علوم من العوالم العلوية إلهاماً، دون أن يكون ذلك العلم اكتسابياً، ومع ذلك لا يكونون أنبياء، وقد تقدم أن ذكرنا أمثلة لذلك.

وفي ما يتعلق بالخصيصة الثانية، وهي العصمة، فعلينا التذكير بأنّ العصمة ليست من الخصائص المنحصرة بالنبوّة، فإنّ السيدة مريم العذراء ـ مثلاً ـ معصومة عن كلّ خطأ؛ بحكم قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢)، ومع ذلك لم تكن نبيّة.

وفي ما يتعلق بالخصيصة الثالثة يمكن القول بأنّ حجية الكلام لا تلازم النبوّة، فالعقل ـ مثلاً ـ حجّة على الجميع، مع أنه ليس نبياً. وهكذا هي فتوى الفقهاء، فإنها حجّة على المقلِّدين، وليس هناك مَنْ يذهب إلى القول بنبوّة الفقهاء.

وخلاصة القول: إنّ هذه الخصائص، سواء كانت مجتمعة أو متفرّقة، ليست من العلائم المنحصرة في الأنبياء، وإنْ كان جميع الأنبياء يتمتعون بهذه الخصائص. وإن ما يمتاز به الأنبياء عن غيرهم هو كونهم أصحاب شرائع، ومؤسّسين لأديان. وهذه الخصيصة لا توجد عند سواهم، حتى لو كانوا أئمة. وليس هناك مَنْ يدعي ذلك سوى الأنبياء.

ونحن نسأل الكاتب: ما هو المحذور في أن يعلّم الله تبارك وتعالى جماعة؛ ليبلغوا ما أنزله على صاحب الشريعة، ولم تساعده الظروف على بيانها، ويجعلهم معصومين من الخطأ؛ كي لا يحصل نقض للغرض في إبلاغ الرسالة، ويقول للناس بأنّ تقريرهم عن صاحب الشريعة حجّة عليكم؟ فهل تعدّ مثل هذه الموهبة والنعمة مستحيلة عليه وعليهم؟!

فيجدر بنا عدم إنكار التعاليم تحت ذريعة صيانة الخاتمية.

إنّ خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، الذي جاء بالدين الإسلامي، وعرّفه على أنه الدين الخاتم، والجامع للأحكام الثابتة والباقية عبر العصور، أثبت بنفسه هذه الخصائص للأئمة من بعده في تعابير صريحة وواضحة:

١. فمن جهة يعبّر عنهم بأنهم عِدْل القرآن؛ إذ يقول: «كتاب الله؛ وعترتي». ولا يخفى أنّ عِدْل القرآن لابد أن يكون مثله في العصمة والحجية على الناس.

٢. إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال للناس: إنّ الهداية في اتباع العترة، والضلالة في التخلُّف عنهم، والتمرّد على أوامرهم؛ إذ يقول: «ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً». وقال في شأن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أنا مدينة العلم، وعلي بابها».

فهل كان علم الأئمة عليهم السلام بالمسائل العقائدية والعلمية علماً اعتيادياً، كالعلم الذي يحصل عليه الطالب من خلال حضوره في الدرس على يد بعض الأساتذة، أو أنهم تعلّموا ذلك بطرق غير عادية، كما هو الحال بالنسبة إلى صاحب موسى عليه السلام؛ إذ يقول عنه تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾؟

لو كان الأئمة المعصومون عليهم السلام كسائر الناس العاديين فما هو معنى كلّ هذا التأكيد على وجوب اتباعهم؟! وعليه لا ينبغي إنكار سائر التعاليم بحجة الحفاظ على الخاتمية، فتكون كلمة حقّ يراد بها باطل.

مضافاً إلى استحالة أن تكون هذه المعارف والتعاليم التي وصلت إلينا من الأئمة عليهم السلام نتيجة لدراسة عادية؛ فإنّ كثرتها وعمقها وعظمتها لدليل على أنها ثمار جنة أخرى.

انتهى ويليه الجزء الثالث

المصدر: نصوص معاصرة، العدد الواحد والعشرون السنة السادسة، شتاء ٢٠١١م، ١٤٣٢هـ

▫ مقال

كيف نهب امريكا والصهاينة آثار العراق؟

قال تقرير نشره موقع ذا كرادل The Cradle إن الغزو الأمريكي للعراق مهد الطريق للنهب والتدمير المنهجي لعدد لا يحصى من القطع الأثرية والمخطوطات القديمة، كاشفا أن إسرائيل لعبة دورًا مهمًا في السرقة المستمرة والتهريب العالمي لهذه العناصر.

وكانت وزارة الثقافة العراقية أعلنت، في وقت سابق، استرداد ٢٣ ألف قطعة أثرية نُهب معظمها إبان الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، في محاولة لطمس الهوية الحضارية للعراق، في وقت لا تزال تعجز فيه بغداد عن استرجاع الأرشيف اليهودي الذي وصلت أجزاء منه إلى تل أبيب.

ويقول التقرير إنه في ١٠ أبريل/نيسان ٢٠٠٣ ضربت الدبابات الأمريكية، بعد احتلالها بغداد، طوقاً حول مبنى وزارة النفط العراقية، ومبنى المخابرات، والمتحف الوطني.

مع الانفلات الأمني، وانتشار عمليات النهب، شددت القوات الأمريكية الطوق على مبنيي النفط والمخابرات، فيما تركت أبواب المتحف الوطني على بعد أمتار قليلة منهما، عرضة لنهب مافيا الآثار التي أفرغت المتحف من معظم محتوياته.

في غضون ذلك، عمدت تلك القوات الى إقامة قواعد لها في داخل أهم المواقع الأثرية، شمال العراق وجنوبه، فانشأت قاعدة عسكرية في موقع آثار بابل التي يعود تاريخها إلى ٢٣٠٠ عام قبل الميلاد، وجرفت بعض اراضيه لاستخدامها مهبطاً للمروحيات العسكرية. وأقامت قاعدة آخرى قرب زقورة أور، التي يعود تاريخها إلى ٣٨٠٠ قبل الميلاد، ومثلها في الحضر والنمرود وغيرهما.

ويعود إنشاء المتحف الوطني العراقي إلى عام ١٩٢٤، ويقع في منطقة العلاوي وسط بغداد، ويحوي قطعاً أثرية ثمينة من حضارات بلاد ما بين النهرين، السومرية والبابلية والآشورية، والأكدية والكلدانية والساسانية، وهو يمثل أهم صندوق للآثار العراقية.

ويوضح خبير الآثار حيدر فرحان لذا كرادل" أن المتحف يضم آلاف القطع الأثرية والمخطوطات النادرة، ولا توجد إحصاءات رسمية عن عدد الآثار المسروقة من المتحف عام ٢٠٠٣، محملاً القوات الامريكية مسؤولية مباشرة وغير مباشرة في سرقة محتوياته.

ونقل التقرير عن مصدر مسؤول في وزارة الثقافة والسياحة والاثار العراقية، طلب عدم الافصاح عن اسمه، قوله إن القوات الأمريكية، منذ عام ٢٠٠٣ حتى مغادرتها عام ٢٠١١، أمنت الحماية لفرق اسرائيلية للتنقيب في المواقع الأثرية العراقية، خصوصاً في بابل وأور.

وتتحدث تقارير عراقية عن سرقة نحو (١٢٠,٠٠٠) قطعة أثرية من العراق بين عامي ٢٠٠٣ و٢٠١٧، تم السطو على القسم الأكبر منها ابان غزو العراق، فيما يتحمل تنظيم داعش الارهابي مسؤولية سرقة مقتنيات متحف الموصل شمال البلاد والمواقع الأثرية في المناطق التي سيطر عليها بعد عام ٢٠١٤.

مدير دائرة المخطوطات العراقية المتحدث باسم وزارة الثقافة، أحمد العلياوي أكد للموقع أن الوزارة تمكنت من استرداد أكثر من (٢٣,٠٠٠) قطعة أثرية خلال ثلاث سنوات، منها (١٧,٣٠٠) تم استردادها قبل عامين.

وينقل "ذا كرادل" عن مسؤول سابق بالمتحف الوطني قوله إن عصابات منظمة بعضها من بلد عربي مجاور، اقتحمت المتحف على مدى ثلاثة ايام تحت اعين القوات الاميركية التي كانت تتفرج على ما يجري، لافتا إلى ان المقتحمين كانوا على دراية بخبايا المتحف وقاعاته وبموقع مخازن الآثار التي كانت قيد التحقيق والتسجيل.

وأضاف: هناك غرفة سرية في القاعة الحضرية للمتحف نحتفظ فيها بالحلي الأثرية النفيسة. عند عودتنا يوم ١٢ نيسان ٢٠٠٣ وجدنا أن الحلي سرقت مع بعض الاختام النادرة.

بدوره، كشف المتحدث السابق باسم وزارة الثقافة العراقية، عبدالزهرة الطالقاني، في تصريح عام ٢٠١١، أن الآثار العراقية المنهوبة هُربت إلى دولة مجاورة، ومنها إلى أمريكا وأوروبا.

العلياوي أكد أن الغالبية العظمى من الآثار المسروقة من العراق هربت إلى إحدى الدول العربية ومن ثم إلى الولايات المتحدة، مشيرا إلى أن قسما من هذه الآثار سُرق من المتحف الوطني، والقسم الآخر عبر النبش اللاقانوني لمافيات الآثار في المواقع الأثرية ابان الانفلات الأمني.

أما خبيرة الآثار العراقية سندس محمد، فقد اتهمت، في تصريحات صحفية، القوات الأمريكية بالمساهمة بتهريب الآثار العراقية إلى خارج البلاد، بعد سيطرتها على آثار بابل وأكد، بالاتفاق مع مافيات الاتجار بالآثار. فيما أشارت إلى أن غالبية القطع الاثرية تم استردادها كانت من الولايات المتحدة وبريطانيا.

وبعد الغزو الأمريكي للعراق شكلت واشنطن ما يسمى سلطة الائتلاف المؤقت، وكانت تفرض سيطرتها على المرافق الحيوية، ومنها المطارات التي تعاقدت فيها القوات الامريكية مع احدى الشركات الأمنية الأجنبية للإشراف على الرحلات الجوية وتأمين دخول وخروج المسافرين وتفتيش حقائبهم.

ويؤكد مصدر استخباراتي عمل في مطار بغداد منذ عام ٢٠٠٤، أن القوات الأمريكية كانت تسيطر على المطار بالكامل، ولم يكن في الامكان نقل أي بضاعة من وإلى المطار إلا بعلم الأمريكيين الذين كانوا يتغاضون عن شخصيات محلية وعربية وأجنبية كانت تعمل على نقل الآثار عبر طرود خاصة لا تخضع للتفتيش.

المصدر: نورنيوز